المغني في التَّفْسِيرِ

المُحَرِّرُ الجَامِعُ لِتَفَاسِيرِ السَّلَفِ

[تَهْذِيبُ التَّفْسِيرِ المُحَرَّرِ لِلدُّرَرِ السَّنِيَّةِ]

[مُطَرَّزًا بِحَاشِيَةٍ مِنْ تَحْرِيرَاتٍ وَتَرْجِيحَاتٍ وَتَعْلِيقَاتِ عُيُونِ تَفَاسِيرِ المُحَقِّقِينَ فِي التَّفْسِيرِ:

{ابْنِ جَرِيرٍ، وَابْنِ عَطِيَّةَ، وَابْنِ تَيْمِيَّةَ، وَابْنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ، وَابْنِ كَثِيرٍ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى}

كَتَبَهُ وَاعْتَنَى بِهِ

د/ هَانِي بْن عَبْده

د/ آلَاء رِضَا

«المُغْنِي فِي التَّفْسِيرِ»

المُحَرِّرُ الجَامِعُ لِتَفَاسِيرِ السَّلَفِ

[تَهْذِيبُ التَّفْسِيرِ المُحَرَّرِ لِلدُّرَرِ السَّنِيَّةِ]

[مُطَرَّزًا بِحَاشِيَةٍ مِنْ تَحْرِيرَاتٍ وَتَرْجِيحَاتٍ وَتَعْلِيقَاتِ عُيُونِ تَفَاسِيرِ المُحَقِّقِينَ فِي التَّفْسِيرِ:

{ابْنِ جَرِيرٍ، وَابْنِ عَطِيَّةَ، وَابْنِ تَيْمِيَّةَ، وَابْنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ، وَابْنِ كَثِيرٍ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى}

مُقْتَبَسَةً مِنْ مُوسُوعَةِ التَّفْسِيرِ المَأْثُورِ

كَتَبَهُ وَاعْتَنَى بِهِ

د/ هَانِي بْنُ عَبْدِهِ

د/ آلَاء رِضَا

غَفَرَ اللَّهُ لَهُمَا وَلِوَالِدَيْهِمَا وَلِمَشَايِخِهِمْ وَلِلْمُسْلِمِينَ

بسم الله الرحمن الرحيم

«المُغْنِي فِي التَّفْسِيرِ»

المُحَرِّرُ الجَامِعُ لِتَفَاسِيرِ السَّلَفِ

سُورَةُ الحَدِيدِ، سُورَةُ المُجادلةِ، سُورَةُ الحَشْرِ

(المجلَّدُ السَّابِعُ والثَّلاثونَ)

" نُسْخَةٌ إِلِكْتِرُونِيَّةٌ، حُقُوقُهَا مَحْفُوظَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ "

نسخة إلكترونية

تَفْسِيرُ
سُورَةِ الحَدِيدِ

سُورةُ الحَديدِ

سورةُ الحَديدِ

سُمِّيت هذه السُّورةُ بسُورةِ (الحديدِ).[1]

سورةُ الحديدِ مَدَنيَّةٌ،[2] وحُكِيَ عن بعضِ المفسِّرينَ الإجماعُ على ذلك.[3]

---

(1) سُمِّيت سورةَ الحديدِ؛ لِقَولِه تعالى فيها: وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ [الحديد: 25].

يُنظر: ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (453/1)، ((تفسير ابن عاشور)) (353/27).

قال ابنُ عاشور: (وهذا اللَّفظُ وإنْ ذُكِر في سورةِ الكَهفِ في قَولِه تعالى: آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ وهي سابقةٌ في النُّزولِ على سورة الحديدِ على المختارِ، فلم تُسَمَّ به؛ لأنَّها سُمِّيَت باسمِ الكَهفِ؛ للاعتناءِ بقصَّةِ أهلِ الكَهفِ، ولأنَّ الحديدَ الَّذي ذُكِرَ هنا مرادٌ به حديدُ السِّلاحِ؛ مِن سُيوفٍ ودُروعٍ وخُوَذٍ، تنويهًا به؛ إذ هو أثَرٌ من آثارِ حِكمةِ اللهِ في خَلْقِ مادَّتِه، وإلهامِ النَّاسِ صُنْعَه لتحصُلَ به منافِعُ لتأييدِ الدِّينِ، ودِفاعِ المعتدِينَ، كما قال تعالى: فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ [الحديد: 25]).

((تفسير ابن عاشور)) (353/27).

(2) وقيل: السُّورةُ مَكِّيَّةٌ.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (384/22)، ((تفسير الماوردي)) (468/5)، ((الوسيط)) للواحدي (244/4)، ((تفسير الرازي)) (441/29).

(3) ممَّن نقل الإجماعَ على ذلك: النَّقَّاشُ -كما حكاه عنه ابنُ عطيَّةَ-، والقرطبيُّ، وابنُ تيميَّةَ، والبِقاعي.

يُنظر: ((تفسير ابن عطية)) (231/5)، ((تفسير القرطبي)) (235/17)،((الإيمان)) لابن تيمية (ص: 182)، ((مصاعد النظر)) للبقاعي (57/3).

ونسَب ابنُ الفَرَسِ وابنُ عاشور هذا القولَ للجمهورِ.

يُنظر: ((أحكام القرآن)) لابن الفرس (520/3)، ((تفسير ابن عاشور)) (253/27).

مِن أهَمّ مقاصِدِ السُّورةِ:

1- الحَديثُ عن مَظاهِرِ قُدرةِ اللهِ تعالى، وعن صِفاتِه الجليلةِ.

2- دعوةُ المؤمِنينَ إلى التَّمَسُّكِ بتعاليمِ دينِهم.

مِن أهمِّ الموضوعاتِ الَّتي اشتَمَلَتْ عليها السُّورةُ:

1- افتتاحُ السُّورةِ ببَيانِ تَسبيحِ جميعِ ما في السَّمَواتِ وما في الأرضِ للهِ، والثَّناءُ عليه سُبحانَه بذِكرِ بَعضِ أسمائِه الحُسْنى وصِفاتِه.

2- ذِكرُ بَعضِ مظاهِرِ قُدرةِ اللهِ تعالى، وسَعةِ مُلْكِه، وشُمولِ عِلْمِه.

3- حَضُّ المؤمنينَ على الثَّباتِ على إيمانِهم، وعلى الإنفاقِ في سَبيلِ اللهِ.

واستظهر ابن عاشور أنَّ صدرَ هذه السُّورةِ مكِّيٌّ، وأنَّ ذلك يَنتهي إلى قوله تعالى: وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ [الحديد: 9] ، وأنَّ ما بعدَ ذلك بعضُه نزَل بالمدينةِ كما تقتضيه معانيه، مِثلُ حكايةِ أقوالِ المنافِقِين، وبعضُه نزَل بمكَّةَ، مِثلُ آيةِ: أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا [الحديد: 16] الآيةَ.

قال: (ويُشبِهُ أن يكونَ آخرُ السُّورةِ [إلى] قوله: إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ [الحديد: 25] نزَل بالمدينةِ، أُلحِق بهذه السُّورةِ بتوقيفٍ مِن النَّبيِّ - ﷺ - في خِلالِها أو في آخِرِها.

قلتُ: وفيها آيةُ: لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ [الحديد: 10] الآيةَ، وسواءٌ كان المرادُ بالفتحِ في تلك الآيةِ فتْحَ مكَّةَ أو فتْحَ الحُدَيْبِيَةِ، فإنَّه أُطلِق عليه اسمُ الفتحِ، وبه سُمِّيَتْ «سورةُ الفتحِ»، فهي متعيِّنةٌ لأن تكونَ مدَنيَّةً، فلا يَنبغي الاختلافُ في أنَّ مُعظَمَ السُّورةِ مدَنيٌّ).

((تفسير ابن عاشور)) (354/27).

ساق ابنُ عطية (٨/ ٢١٧) القول بمدنية السورة، ونقل قولًا بمكيتها، ثم علَّق بقوله: «ولا خلاف أنّ فيها قرآنًا مدنيًّا، لكن يُشبه صدرها أن يكون مكيًّا».

4- بيانُ حُســنِ عاقِبةِ المؤمِنينَ والمؤمناتِ يومَ القيامةِ، وسُــوءِ عاقِبةِ المنافِقينَ، وما يجري بيْن الفريقَينِ مِن محاوراتٍ.

5- حثُّ المؤمنينَ على الخُشوعِ لله وخَشْيتِه، وتحذيرُ المسلِمينَ مِن الوُقوعِ في أسبابِ قَساوةِ القُلوبِ الَّتي وَقَع فيها أهلُ الكِتابِ.

6- ذِكرُ ثوابِ المتصَدِّقينَ الَّذين أقرَضوا اللهَ قَرضًا حَسَنًا.

7- بيانُ مَصيرِ الحياةِ الدُّنيا، والدَّعوةُ إلى إيثارِ الآجِلةِ على العاجِلةِ، والباقيةِ على الفانيةِ.

8- تقريرُ أنَّ كُلَّ شَيءٍ بقَضاءِ اللهِ وقَدَرِه.

9- بيانُ وَحدةِ الرِّسالاتِ السَّماويَّةِ، والتَّنويهُ بحِكمةِ إرسالِ الرُّسُلِ والكُتُبِ.

سورةُ الحَديدِ

الآيات (1–6)

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (1) لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (2) هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ
شَيْءٍ عَلِيمٌ (3) هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ
يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ
مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (4) لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ
(5) يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (6)

غريب الكلمات:

وَالظَّاهِرُ: أي: الغالِبُ، العالي بذاتِه على كُلِّ شَيءٍ مِن خَلْقِه، فلا شَيءَ فَوقَه؛ مِنَ الظُّهورِ بمعنى القَهرِ والغَلَبةِ وكَمالِ القُدرةِ، ومعنى الظُّهورِ يَقتَضي العُلُوَّ، ومنه: ظَهَر فلانٌ على فلانٍ: إذا علاه وغَلَبَه. وظاهِرُ الشَّيءِ: هو ما علا منه وأحاط بباطِنِه، وأصلُ (ظهر) يدلُّ على قوَّةٍ وبروزٍ.

وَالْبَاطِنُ: أي: العالِمُ بما بَطَن، مِن قَولِهم: فُلانٌ يَبطُنُ أمرَ فُلانٍ، أي: يَعلَمُ داخِلةَ أمْرِه، وبُطونُه سُبحانَه: إحاطتُه بكُلِّ شَيءٍ، ويجوزُ أن يكونَ المعنى: المُحتَجِبُ عن الأبصارِ والعُقولِ، وأصلُ (بطن): يدُلُّ على خِلافِ الظَّهرِ.

يَلِجُ: أي: يَدخُلُ، يَلِجُ: أي: يُدخِلُ، وأصلُ (ولج): يدُلُّ على دُخولِ شَيءٍ.

يَعْرُجُ: أي: يَصعَدُ ويَرقَى، وأصلُ (عرج): يدُلُّ على ارتِقاءٍ.

بِذَاتِ الصُّدُورِ: أي: بما تُكِنُّه الضَّمائِرُ، وقيل: حاجةِ الصُّدورِ، وقيل: بخَفِيَّاتِ القلوبِ، وقيل: بحقيقةِ ما في الصُّدورِ، وذاتُ الشَّيءِ: نَفْسُه وحَقيقتُه.

تفسير الآيات:

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (1).

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.

أي: نَزَّهَ اللهَ تعالى عن النَّقائِصِ والعُيوبِ كُلُّ مَن في السَّمواتِ ومَن في الأرضِ.(4)

كما قال تعالى: تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ [الإسراء: 44].

وقال سُبحانَه: أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ [النور: 41].

وقال عزَّ وجلَّ: يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ [الجمعة: 1].

---

(4) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٢١٧) أنه اختُلف هل هذا التسبيح حقيقة أو مجاز على معنى أن أثر الصنعة فيها تنبه الرائي على التسبيح؟ ونقل عن الزّجّاج وغيره أنهم قالوا: إن القول بالحقيقة أحسن.

ثم علَّق بقوله: «وهذا كله في الجمادات، وأما ما يمكن التسبيح منه فقول واحد: إنّ تسبيحهم حقيقة».

ونقل عن قوم من المفسرين أنّ التسبيح في هذه السورة: الصلاة.

وانتقده بقوله: «وهذا قول متكلّف».

ثم وجَّهه (٨/ ٢١٧ – ٢١٨) بقوله: «فأما فيمن يمكن منه ذلك فسائغ، وعلى أنّ سجود ظلال الكفار هي صلاتهم، وأما في الجمادات فيقلق، وذلك أنّ خضوعها وخشوع هيئاتها قد يُسمّى في اللغة: سجودًا؛ تجوزًا واستعارة، كما قال الشاعر:

ترى الأكم فيها سُجّدًا للحوافر

ويبعد أن تُسمّى تلك صلاة إلا على تحامل».

وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.

أي: واللهُ هو الغالِبُ الَّذي لا يُغلَبُ، ولا يمتَنِعُ عليه شَيءٌ، الحَكيمُ الَّذي يَضَعُ كُلَّ شَيءٍ في مَوضِعِه الصَّحيحِ اللَّائِقِ به.

لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (2).

لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.

أي: لله وَحْدَه سُلطانُ السَّمَواتِ والأرضِ؛ فلا شَريكَ له في خَلْقِهما، ولا في تَدبيرِهما والتَّصَرُّفِ فيهما.

يُحْيِي وَيُمِيتُ.

أي: يُحيي ما يَشاءُ، ويُميتُ ما يَشاءُ مِن خَلْقِه.

وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

أي: وهو ذو قُدرةٍ بالِغةٍ، فلا يُعجِزُه شَيءٌ، سُبحانَه.

هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (3).

هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ.

أي: هو وَحْدَه المَوجودُ أزَلًا قَبْلَ كُلِّ شَيءٍ، بلا بِدايةٍ مُفتَتَحةٍ، والباقي دائِمًا بعْدَ كُلِّ شَيءٍ بلا نِهايةٍ مُنقَضِيةٍ.

وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ.

أي: وهو وَحْدَه العالي بذاتِه على كُلِّ شَيءٍ مِن خَلْقِه؛ فلا شَيءَ فَوقَه، وهو وَحْدَه الباطِنُ الَّذي لا شَيءَ دُونَه، قد أحاط بكُلِّ شَيءٍ، بحيثُ يكونُ أقرَبَ إليه مِن نَفْسِه.[5]

عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((كان رَسولُ اللهِ - ﷺ - يأمُرُنا إذا أخَذْنا مَضجَعَنا أن نَقولَ: اللَّهمَّ رَبَّ السَّمَواتِ ورَبَّ الأرضِ ورَبَّ العَرشِ العَظيمِ، رَبَّنا ورَبَّ كُلِّ شَيءٍ، فالِقَ الحَبِّ والنَّوى، ومُنزِلَ التَّوراةِ والإنجيلِ والفُرقانِ، أعوذُ بك مِن شَرِّ كُلِّ شَيءٍ أنت آخِذٌ بناصيتِه، اللَّهمَّ أنت الأوَّلُ

---

(5) عن مقاتل بن حيّان -من طريق بكير بن معروف- قال: بلغنا في قوله - عز وجل -: ﴿هُوَ الأَوَّلُ﴾ قبل كلّ شيء، ﴿والآخِرُ﴾ بعد كلّ شيء، ﴿والظّاهِرُ﴾ فوق كلّ شيء، ﴿والباطِنُ﴾ أقرب من كلّ شيء.

وإنما يعني بالقرب: بعِلْمه وقدرته، وهو فوق عرشه، وهو بكل شيء عليم.

أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٩١٠)، والذهبي في العلو للعلي الغفار ص ١٣٧.

انتقد ابنُ تيمية (٦/ ٢٠٢) قول مقاتل بن حيّان -مستندًا إلى دلالة اللغة، والقرآن، والسنة، وأقوال السلف-، للآتي: ١ - لفظ الباطن كما جاء ذكره في الحديث لا يدل على معنى القُرب.

٢ - تفسير القُرب بالعلم والقدرة لا حاجة إليه؛ لأنّ السلف ثابت عنهم تفسير المعيّة بالعلم، أمّا القُرب فلا حاجة لتأويله؛ لأنّ لفظ القُرب في الكتاب والسنة على جهة العموم ليس كلفظ المعيّة، ولا لفظ القُرب في اللغة والقرآن كلفظ المعيّة فإنه إذا قال: هذا مع هذا؛ فإنه يعني به: المجامعة والمقارنة والمصاحبة، ولا يدل على قُرب إحدى الذاتين من الأخرى ولا اختلاطها بها؛ فلهذا كان إذا قيل: هو معهم؛ دلّ على أنّ علْمه وقدرته وسلطانه محيط بهم وهو مع ذلك فوق عرشه؛ كما أخبر القرآن والسنة بهذا.

وقال تعالى: ﴿هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم﴾، فأخبر سبحانه أنه مع عُلّوه على عرشه يعلم كلّ شيء، فلا يمنعه علّوه عن العلم بجميع الأشياء.

فليس قَبْلَك شيءٌ، وأنت الآخِرُ فليس بَعْدَك شيءٌ، وأنت الظَّاهِرُ فليس فوقَك شيءٌ، وأنت الباطِنُ فليس دُونَك شيءٌ، اقْضِ عنَّا الدَّينَ، وأغْنِنا مِن الفقرِ)).[6]

وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ.

أي: وهو ذو عِلمٍ بالِغٍ تامٍّ بكُلِّ شَيءٍ، فلا يَخفَى عليه شَيءٌ.

هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (4).

هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ.

أي: هو وَحْدَه الَّذي أوجَدَ السَّمَواتِ والأرضَ في ستَّةِ أيَّامٍ.[7]

ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ.

أي: ثمَّ علا على عَرشِه بعْدَ خَلقِ السَّمَواتِ والأرضِ عُلُوًّا يَليقُ بجَلالِه.

---

(6) رواه مسلم (2713).

(7) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٢١٨ - ٢١٩) أنّ أكثر الناس على أنّ بداية الخلْق هي في يوم الأحد، ثم قال: «ووقع في مسلم أن البداية في يوم السبت».

وذكر أنه اختُلف في الأيام الستة: أهي من أيام القيامة، أم من أيام الدنيا؟ ورجَّح القول الثاني، فقال: «وهو الأصوب».

ولم يذكر مستندًا، ونسبه للجمهور.

يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا.

أي: يَعلَمُ اللهُ ما يَدخُلُ في الأرضِ فيَغيبُ فيها مِن ماءٍ وبُذورٍ وحَيَواناتٍ، وأَمواتٍ وكُنوزٍ وغَيرِها، ويَعلَمُ ما يَخرُجُ مِن الأرضِ مِن نَباتٍ وحَيوانٍ، ومَعادِنَ وغَيرِها.

وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا.

أي: ويَعلَمُ اللهُ تعالى ما يَنزِلُ مِنَ السَّماءِ مِن الملائِكةِ، والأمطارِ والبَرَدِ والثُّلوجِ والصَّواعِقِ، والأرزاقِ والوَحيِ وغَيرِ ذلك، ويَعلَمُ ما يَصعَدُ في السَّماءِ مِنَ الملائِكةِ والأرواحِ والأعمالِ، والأبخِرةِ وغَيرِها.

قال سُبحانَه: تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ [المعارج: 4].

وعن أبي موسى الأشعريِّ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((قام فينا رَسولُ اللهِ – ﷺ – بخَمسِ كَلِماتٍ، فقال: إنَّ اللهَ عزَّ وجَلَّ لا يَنامُ، ولا يَنبغي له أن يَنامَ، يَخفِضُ القِسطَ ويَرفَعُه، يُرفَعُ إليه عَمَلُ اللَّيلِ قبْلَ عَمَلِ النَّهارِ، وعَمَلُ النَّهارِ قبلَ عَمَلِ اللَّيلِ...)) الحديثَ.[8]

وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ.

---

(8) رواه مسلم (179).

أي: واللهُ معَكم بعِلمِه وإحاطتِه، رَقيبٌ عليكم، شَهيدٌ على أعمالِكم في أيِّ مَوضِعٍ كُنتُم فيه مِن برٍّ أو بحرٍ، في لَيلٍ أو نهارٍ.(9)

كما قال تعالى: أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [المجادلة: 7].

وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ.

أي: ولا يَخفى عليه شَيءٌ مِن أعمالِكم، وسيُجازيكم عليها.

لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (5).

لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.

أي: لله وَحْدَه سُلطانُ السَّمَواتِ والأرضِ، فلا شَريكَ له في خَلْقِهما، ولا في تَدبيرِهما والتَّصَرُّفِ فيهما.

---

(9) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٢١٩) أنّ هذا التأويل أجمعت الأمة عليه في هذه الآية، وأنها مخرجة عن معنى لفظها المعهود، ثم قال: «ودخل في الإجماع مَن يقول بأن المشـتبه كلّه، ينبغي أن يُمرّ ويؤمن به ولا يُفسّـر، وقد أجمعوا على تأويل هذه لبيان وجوب إخراجها عن ظاهرها».

وذكر ابنُ تيمية (٦/ ٢٠٤) أن «المعية» تختلف أحكامُها بحسب الموارد (السياق)، فلما قال: ﴿يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها﴾ إلى قوله: ﴿وهو معكم أين ما كنتم﴾ دلّ ظاهرُ الخطاب على أنّ حكم هذه المعيّة ومقتضاها أنه مُطّلع عليكم؛ شهيد عليكم، ومهيمن عالمٌ بكم.

ثم قال: «وهذا معنى قول السلف: إنه معهم بعلمه، وهذا ظاهر الخطاب وحقيقته.

وكذلك في قوله: ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم﴾ إلى قوله: ﴿هو معهم أين ما كانوا﴾ الآية [المجادلة: ٧]».

وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ.

أي: وإلى اللهِ وَحْدَه لا إلى غَيرِه مَرجِعُ جَميعِ الأُمورِ.

كما قال تعالى: وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ [هود: 123].

يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (6).

يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ.

أي: يُدخِلُ اللهُ ظُلْمةَ اللَّيلِ في ضَوءِ النَّهارِ، فيَغيبُ فيه.

وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ

أي: ويُدخِلُ اللهُ ضَوءَ النَّهارِ في ظُلمةِ اللَّيلِ، فيَغيبُ فيه.

وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ.

أي: وهو وَحْدَه البالِغُ العِلمِ بضَمائِرِ عِبادِه وسَرائِرِهم، لا يخفَى عليه شَيءٌ منها.

سورةُ الحَديدِ

الآيات (7–11)

آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ
كَبِيرٌ (7) وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ
كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (8) هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى
النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (9) وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ
الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (10) مَنْ ذَا
الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ (11)

غريب الكلمات:

مُسْتَخْلَفِينَ: أي: مُمَلَّكِينَ، فجعَل المالَ في أيديكم خَلَفًا لِمَن قبلَكم، فكان لغيرِكم فملَكْتموه، وأصلُ (خلف): يدُلُّ على مجيءِ شَيءٍ بعدَ شيءٍ.

مِيثَاقَكُمْ: المِيثاقُ: عَقدٌ مُؤكَّدٌ بيَمينٍ، وهو مِفعالٌ مِنَ الوَثيقةِ، وأصلُ (وثق): يدُلُّ على عَقْدٍ وإحْكامٍ.

لَرَءُوفٌ: أي: شديدُ الرَّحمةِ، أو ذو رحمةٍ واسعةٍ، والرَّأفةُ أعلَى معاني الرَّحمةِ، وأبلغُها وأرَقُّها، وأصلُ (رأف): يدُلُّ على رِقَّةٍ ورَحمةٍ.

الْحُسْنَى: أي: الجَنَّةَ، وأصلُ الحسنِ ضِدُّ القُبحِ.

تفسير الآيات:

﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (7)﴾.

آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ.

أي: آمِنوا باللهِ تعالى فوَحِّدوه، وآمِنوا برَسولِه مُحمَّدٍ فصَدِّقوه وأقِرُّوا برسالتِه وما جاء به واتَّبِعوه، وداوِموا على ذلك الإيمانِ واثبُتوا عليه.

وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ.

أي: وأنفِقوا مِن مالِ اللهِ الَّذي استَخلَفَكم فيه وجعَلَه عِندَكم عاريَّةً، فتصَدَّقوا منه في سَبيلِه.

فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ.

أي: فالَّذين آمَنوا باللهِ ورَسولِه مِنكم، وأنفقوا في سَبيلِه مِن أموالِهم الَّتي استَخلَفَهم فيها: لهم ثوابٌ عَظيمٌ.[10]

---

(10) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٢٢٠) أن الضَّحّاك قال: الإشارة بقوله: ﴿فالذين آمنوا منكم وأنفقوا﴾ إلى عثمان بن عفان. ثم علَّق بقوله: «وحكمها باقٍ يندب إلى هذه الأفعال بقية الدهر».

وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (8).

وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ.

أي: وما الَّذي يَحمِلُكم على عَدَمِ الإيمانِ باللهِ، والحالُ أنَّ رَسولَه مُحَمَّدًا - ﷺ -يَدْعوكم إلى الإيمانِ برَبِّكم المُحسِنِ إليكم؟!

وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ.

أي: والحالُ أنَّ اللهَ قد أخَذَ منكم العَهدَ بالإيمانِ، إنْ كُنتُم مُؤمِنينَ.

كما قال تعالى: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ [الأعراف: 172، 173].

هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (9).

هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ.

أي: اللهُ تعالى هو الَّذي يُنَزِّلُ على عَبدِه مُحَمَّدٍ - ﷺ - آياتِ القُرآنِ الواضِحةَ الدَّلالةِ على الحَقِّ؛ لِيُخرِجَكم بها مِن ظُلُماتِ الكُفرِ والشِّركِ والضَّلالِ والجَهلِ إلى نورِ الإيمانِ والتَّوحيدِ والهُدى واليَقينِ.

كما قال تعالى: قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [المائدة: 15، 16].

وقال سُبحانَه: قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا * رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ [الطلاق: 10، 11].

وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ.

أي: وإنَّ اللهَ لَبالِغُ الرَّأفةِ والرَّحمةِ بكم؛ حيثُ أنزَلَ كُتُبَه، وأرسَلَ رُسُلَه لِهدايتِكم.

وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (10).

وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.

أي: وما الَّذي يَمنَعُكم مِنَ الإنفاقِ في سَبيلِ اللهِ مِمَّا رَزَقَكم، والحالُ أنَّ كلَّ أملاكِ الخَلقِ صائرةٌ بعدَ مَوتِهم إلى اللهِ تعالى وَحْدَه؟! فلا معنى للبُخلِ بشَيءٍ لا تَملِكونَه حَقيقةً، وأنتم عنه زائِلونَ!

لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ.

أي: لا يَتَساوى في الفَضلِ والأجرِ مَن أنفَقَ منكم -أيُّها المُؤمِنونَ- في سَبيلِ اللهِ قَبْلَ الفَتحِ وقاتَلَ أعداءَ الدِّينِ، مع مَنْ أنفَقَ بعْدَ الفَتحِ وقاتَلَ![11]

---

(11) اختُلف في قوله: ﴿من أنفق﴾ على قولين: الأول: أنّ المعنى: مَن آمن.
الثاني: إنفاق المال في جهاد المشركين.
واختُلف في الفتح في قوله: ﴿من قبل الفتح﴾ على قولين: الأول: أنه فتح مكة.
الثاني: فتح الحديبية.
ورجَّح ابنُ جرير (٢٢/ ٣٩٥) -مستندًا إلى السنة- أنّ النفقة هي النفقة في جهاد المشركين، وهو قول قتادة، وأنّ الفتح فتح الحديبية، وهو قول الشعبي، وأبي سعيد الخدري، فقال: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي أن يُقال: معنى ذلك: لا يستوي منكم -أيها الناس- مَن أنفق في سبيل الله مِن قبل فتح الحديبية.
للذي ذكرنا من الخبر عن رسول الله - ﷺ -، الذي رويناه عن أبي سعيد الخدري عنه في أهل اليمن، وقاتل المشركين بمن أنفق بعد ذلك، وقاتل».
وذكر ابنُ تيمية (٦/ ٢٠٨) أنّ المراد بالفتح: فتح الحديبية.
وذكر ابنُ عطية (٨/ ٢٢٣) أنّ القول بأن الفتح: فتح مكة؛ هو المشهور، فقال: «وهذا هو المشهور الذي قال فيه رسول الله - ﷺ -: «لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية».
وقال له رجل بعد فتح مكة: أُبايعك على الهجرة.
فقال رسول الله - ﷺ -: «الهجرة قد ذهبت بما فيها، وإنّ الهجرة شأنها شديد، ولكن أبايعك على الجهاد»».
وذكر أنّ أكثر المفسرين على أن قوله: ﴿يستوي﴾ مسند إلى ﴿مَّنْ﴾، وترك ذكر المعادل الذي لم يستوي معه؛ لأن قوله تعالى: ﴿من الذين أنفقوا من بعد﴾ قد فسّره وبيّنه.

قال تعالى: وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ [التوبة: 100].

أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا.

أي: أولئك -الَّذين أنفقوا قبْلَ الفتحِ وقاتَلوا- أفضَلُ دَرَجةً عندَ اللهِ مِن الَّذين أنفقوا مِن بَعدِ الفَتحِ وقاتَلوا.

وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى.

أي: وكُلٌّ مِنَ القِسمَينِ قد وعَدَه اللهُ الفوزَ بالجنَّةِ، وإن كان السَّابِقونَ أفضَلَ مِن اللَّاحِقينَ.(12)

ثم ساق احتمالًا آخر، فقال: «ويحتمل أن يكون فاعل ﴿يستوي﴾ محذوفًا تقديره: لا يستوي منكم الإنفاق. ثم علَّق بقوله:» ويؤيد ذلك أنّ ذكره قد تقدم في قوله: ﴿وما لكم ألا تنفقوا﴾، ويكون قوله: ﴿من أنفق﴾ ابتداء وخبره الجملة الآتية بعد".

(12) عن عامر الشعبي -من طريق داود- قال: فصْل ما بين الهجرتين فتح الحُدَيبية، وأُنزِلَتْ: ﴿لا يَسْتَوِي مِنكُمْ مَن أَنْفَقَ مِن قَبْلِ الفَتْحِ﴾ إلى ﴿واللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

فقالوا: يا رسول الله، فتحٌ هو؟ قال: «نعم، عظيم»

أخرجه ابن جرير ٢٢/ ٣٩٤.

ذكر ابنُ كثير (١٣/ ٤١١ - ٤١٢) أن ما جاء في الأثر [من حديث أنس في الآثار المتعلقة بالآية] من كلام جرى بين خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف يؤيد هذا القول، وذلك أن: «إسلام خالد بن الوليد المواجه بهذا الخطاب كان بين صُلح الحديبية وفتح مكة».

وبنحوه قال ابنُ عطية (٨/ ٢٢٢).

وذكر ابنُ عطية أنه رُوي في نزولها قولان آخران: الأول: أنها نَزَلَتْ بسبب أنّ جماعة من الصحابة أنفقت نفقات كثيرة حتى قال ناس: هؤلاء أعظم أجرًا مِن كلّ مَن أنفق قديمًا، فنَزَلَتْ الآية مبيّنة أنّ النفقة قبل الفتح أعظم أجرًا.

وعلّق عليه بقوله: «وهذا التأويل على أن الآية نَزَلَتْ بعد الفتح».

وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ.

أي: واللهُ مُطَّلِعٌ على أعمالِكم ونيَّاتِكم فيها، وسيُجازيكم عليها.

مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ (11).

أي: مَن هذا الَّذي يُنفِقُ في سَبيلِ اللهِ مِن طَيِّبِ مالِه مُحتَسِبًا في نَفَقتِه، مُبتَغِيًا ما عِندَ رَبِّه بلا مَنٍّ ولا أذًى، فيُثيبَه اللهُ على ذلك الإنفاقِ أُجورًا كَثيرةً، قد تَبلُغُ سَبْعَمِئةِ ضِعْفٍ أو أكثَرَ، وله ثَوابٌ حَسَنٌ، وجزاءٌ جَميلٌ؟!(13)

كما قال تعالى: مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً [البقرة: 245].

وقال سُبحانَه: مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ [البقرة: 261].

الثاني: أنها نَزَلَتْ قبل الفتح تحريضًا على الإنفاق.

ثم قال: «والأول أشهر».

(13) ذكر ابنُ كثير (١٣/ ٤١٤ – ٤١٥) أنّ عمر بن الخطاب فسّر الإقراض بالإنفاق في سبيل الله.

ونقل قولًا آخر بأنه النفقة على العيال.

ورجَّح عمومها –مستندًا إلى دلالة عموم اللفظ، والنظائر– فقال: «والصحيح أنه أعمّ من ذلك، فكل مَن أنفق في سبيل الله بنية خالصة وعزيمة صادقة، دخل في عموم هذه الآية؛ ولهذا قال: ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له﴾ كما قال في الآية الأخرى: ﴿أضعافًا كثيرة﴾ [البقرة: ٢٤٥]».

وقال عزَّ وجلَّ: إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ [التغابن: 17].

وعن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه قال: قال رَسولُ اللهِ – ﷺ –: ((ما تَصَدَّق أحَدٌ بصَدَقةٍ مِن طَيِّبٍ – ولا يَقبَلُ اللهُ إلَّا الطَّيِّبَ– إلَّا أخَذَها الرَّحمنُ بيَمينِه، وإنْ كانت تَمْرةً، فتَربو في كَفِّ الرَّحمنِ حتَّى تكونَ أعظَمَ مِنَ الجَبَلِ، كما يُرَبِّي أحَدُكم فَلُوَّه أو فَصِيلَه))[14].[15]

(14) الفَلُوُّ: المُهْرُ (وهو الصَّغيرُ مِن أولادِ الفَرَسِ)؛ سُمِّيَ بذلك لأنَّه فليَ عن أُمِّه، أي: فُصِلَ وعُزِلَ.
والفصيلُ: ولَدُ النَّاقةِ إذا فُصِلَ من إرضاعِ أمِّه.
يُنظر: ((شرح النووي على مسلم)) (7/99).

(15) رواه البخاري (1410)، ومسلم (1014) واللفظ له.

سورةُ الحَديدِ

الآيات (12-15)

يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (12) يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ
وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا
فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ (13) يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ
نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ
أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (14) فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ
النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (15)

غريب الكلمات:

بُشْرَاكُمُ: أي: بِشارَتُكم الَّتي تُبَشَّرون بها، والبُشرى تُطلَقُ على الإخبارِ بما يَسُرُّ، وما يُعطَى للمُبشِّرِ، وأصلُ (بشر): ظهورُ الشَّيءِ مع حُسْنٍ وجَمالٍ.

انْظُرُونَا: أي: انتَظِرُونا، مِنَ النَّظَرِ بمعنى الانتِظارِ، ومِنْه النَّظِرةُ: وهي التَّأخيرُ، وأصلُ (نظر): يدُلُّ على تأمُّلِ الشَّيءِ ومُعايَنتِه، ومنه الانتظارُ، كأنَّه يَنظُرُ إلى الوقتِ الَّذي يَأتي فيه.

نَقْتَبِسْ: أي: نَستَضِئْ، والقَبَسُ: شُعْلَةُ النَّارِ، وأصلُ (قبس): يدُلُّ على صِفةٍ مِن صِفاتِ النَّارِ.

مِنْ قِبَلِهِ: أي: مِنْ جِهَتِه، وقِبَلُ: أي: الجِهةُ المقابِلةُ، ويُقالُ: فَعَل ذلك قِبَلًا، أيْ: مُواجَهةً. وهذا مِن قِبَلِ فُلانٍ، أيْ: مِن عِنْدِه، كأنَّه هو الَّذي أقْبَل به عليكَ، وأصلُ (قبل): يدُلُّ على مُواجَهةِ الشَّيءِ للشَّيءِ.

فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ: أي: أهْلَكْتُموها وأضْلَلْتُموها بالنِّفاقِ، أو: أوقَعْتُموها في بَلِيَّةٍ وعذابٍ. وفِتنتُهم أنفُسَهم في هذا الموضعِ كانت النِّفاقَ، والفِتنةُ في الأصلِ: الاختِبارُ والابتلاءُ والامتِحانُ، مأخوذةٌ مِن الفَتْنِ: وهو إدخالُ الذَّهبِ النَّارَ؛ لِتَظهَرَ جَودتُه مِن رَداءتِه.

وَتَرَبَّصْتُمْ: أي: انتَظَرْتُم بالمُؤمنينَ حُلولَ الهلاكِ بهم، أو: تأخَّرْتُم بالتَّوبةِ، وأصلُ (ربص): يدُلُّ على الانتِظارِ.

وَارْتَبْتُمْ: أي: شَكَكْتُم، وأصلُ (ريب): يدُلُّ على شَكٍّ.

الْغَرُورُ: أي: الشَّديدُ التَّغريرِ والخِداعِ، والمرادُ به الشَّيطانُ، يقالُ: غَرَرتُ فُلانًا: إذا أصبْتَ غِرَّتَه ونِلتَ منه ما تُريدُه، مِنَ الغِرَّةِ: وهي الغَفلةُ.

فِدْيَةٌ: أي: عِوَضٌ وبَدَلٌ، وأصلُ (فدي): يدُلُّ على جَعْلِ شَيءٍ مكانَ شَيءٍ حِمًى له.

مَأْوَاكُمُ: أي: مَثْواكم ومَسكَنُكم، والمأوى: مكانُ كُلِّ شَيءٍ يَأْوِي إليه، وأصلُ (أوى): يدُلُّ على التَّجَمُّعِ.

مَوْلَاكُمْ: أي: مَصيرُكم، وأولَى بكم، وأصلُ (ولي): يدُلُّ على قُربٍ.

تفسير الآيات:

يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (12).

يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ.

أي: يومَ ترى المؤمنينَ والمُؤمناتِ يومَ القيامةِ يمضي نُورُهم معهم مِن أمامِهم، وبأيْمانِهم.[16]

كما قال الله تبارك وتعالى: يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [التحريم: 8].

---

(16) اختُلف في قوله: ﴿يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم﴾ على قولين: الأول: أنّ المعنى: يُضيء نورُهم بين أيديهم وبأيمانهم.

الثاني: يسعى إيمانهم وهداهم بين أيديهم، وبأيمانهم: كتبهم.

ورجَّح ابنُ جرير (٢٢/ ٣٩٨ – ٣٩٩) –مستندًا إلى الدلالة العقلية– القول الثاني الذي قاله الضَّحاك، فقال: «وذلك أنه لو عُني بذلك النور: الضوء المعروف؛ لم يُخص عنه الخبر بالسعي بين الأيدي والأيمان دون الشمائل؛ لأن ضياء المؤمنين الذي يُؤتونه في الآخرة يضيء لهم جميع ما حولهم، وفي خصوص الله –جل ثناؤه– الخبر عن سعيه بين أيديهم وبأيمانهم دون الشمائل، ما يدل على أنه مَعنيّ به غير الضياء، وإن كانوا لا يخلون من الضياء».

وذكر ابنُ عطية (٨/ ٢٢٥) أنّ النور على هذا القول استعارة، وأنه على القول الأول حقيقة.

ثم بيّن المعنى على كون النور حقيقة، فقال: «يريد: الضوء المنبسط من أصل النور.

وبأيمانهم أصله، والشيء الذي هو متّقد فيه.

فمضمن هذا القول أنهم يحملون الأنوار».

ثم علَّق بقوله: «وكونهم غير حاملين أكرم، ألا ترى أنّ فضيلة عباد بن بشر وأسيد بن حضير إنما كانت بنور لا يحملانه؟! هذا في الدنيا فكيف في الآخرة؟!».

ونقل أنّ فرقة قالت: ﴿بأيمانهم﴾ معناه: عن أيمانهم.

وعلَّق عليه بقوله: «فكأنه خصّ ذكر جهة اليمين تشريفًا، وناب ذلك مناب أن يقول: وفي جميع جهاتهم».

بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ.

أي: يُقالُ للمُؤمِنينَ والمُؤمِناتِ: بِشارتُكم العَظيمةُ هذا اليَومَ –أي: يومَ القيامةِ– جَنَّاتٌ لكم تَدخُلونَها، تَجري مِن تَحتِها الأنهارُ؛ مِن الماءِ أو اللَّبَنِ، أو الخَمرِ أو العَسَلِ.

خَالِدِينَ فِيهَا.

أي: ماكِثينَ في تلك الجَنَّاتِ، لا تَخرُجونَ منها أبَدًا.

ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ.

أي: دُخولُ تلك الجَنَّاتِ في الآخِرةِ والخُلودُ فيها: هو الرِّبحُ والنَّجاحُ العَظيمُ.

قال تعالى: فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ [آل عمران: 185].

يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ

(13).

أي: يَومَ يَقولُ المُنافِقونَ والمُنافِقاتُ لأولئك المُؤمِنينَ والمُؤمِناتِ: انتَظِرونا وأمْهِلونا؛ حتَّى نَلحَقَ بكم، ونَنالَ شُعْلةً مِن نُورِكم!

عن أبي هُرَيرةَ وأبي سَعيدٍ الخُدْريِّ رَضِيَ اللهُ عنهما: أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وآلِه وسَلَّم قال: ((يَجمَعُ اللهُ النَّاسَ يومَ القيامةِ فيقولُ: مَن كان يَعبُدُ شَيئًا فلْيَتْبَعْه، فيَتْبَعُ مَن كان يَعبُدُ الشَّمسَ الشَّمسَ، ويَتْبَعُ مَن كان يَعبُدُ القَمَرَ القَمَرَ، ويَتْبَعُ مَن كان يَعبُدُ الطَّواغِيتَ الطَّواغِيتَ، وتَبقى هذه الأُمَّةُ فيها مُنافِقوها)).[17]

قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا.

أي: يُقالُ[18] لأولئك المُنافِقينَ والمُنافِقاتِ؛ تَهَكُّمًا بهم: ارجِعوا خَلْفَكم، فاطلُبوا مِن هُنالِك نُورًا لأنفُسِكم!

فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ.

أي: فضَرَب اللهُ بيْنَ المُؤمِنينَ والمُنافِقينَ حاجِزًا يَفصِلُ بيْنَهم.[19]

---

(17) رواه البخاريُّ (806)، ومسلمٌ (182) واللَّفظُ له.

(18) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٢٢٨) أن قوله: ﴿قيل ارجعوا وراءكم﴾ يحتمل أن يكون من قول المؤمنين، ويحتمل أن يكون من قول الملائكة.

(19) اختُلف في المراد بالسُّور في قوله تعالى: ﴿فضرب بينهم بسور له باب﴾ على قولين: الأول: أنه حجاب الأعراف.

الثاني: أنه الجدار الشرقي في مسجد بيت المقدس.

ورجَّح ابنُ كثير (١٣/ ٤١٩) القول الأول الذي قاله مجاهد، وابن زيد، وقتادة، فقال: «وهو الصحيح».

ولم يذكر مستندًا.

وانتقد ابنُ عطية (٨/ ٢٢٨) القول الثاني الذي قاله ابن عباس، وعبد الله بن عمرو، وعبادة بن الصامت، وكعب الأحبار، فقال: «وهذا القول في السور بعيد».

لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ.

أي: لذلك السُّورِ الحاجِزِ بينَ المُؤمنينَ والمنافِقينَ بابٌ يَدخُلُ منه المؤمِنونَ، داخلُ ذلك السُّورِ مِن جِهةِ المُؤمِنينَ: فيه الجنَّةُ، وخارِجُ السُّورِ مِن الجِهةِ الَّتي تَلي المُنافِقينَ وتَبدو لهم: يأتِيهم مِن قِبَلِه عَذابُ جهنَّمَ.

يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (14).

يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ.

أي: يُنادي المُنافِقونَ المُؤمِنينَ مِن وَراءِ السُّورِ الحاجِزِ بَيْنَهم، وهم في الظُّلْمةِ والعَذابِ: ألَمْ نَكُنْ مَعَكم في الدُّنيا نُصَلِّي ونَصومُ ونَذكُرُ اللهَ، ونَدِينُ بالإسلامِ، ونَفعَلُ مِثلَ ما تَفعَلونَ؟!

قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ.

أي: قال المؤمِنونَ لهم: قد كُنتُم معنا في الدُّنيا في الظَّاهِرِ، ولكِنْ بلا نِيَّةٍ صَحيحةٍ، ولا إيمانٍ صادِقٍ؛ فأهلَكْتُم أنفُسَكم بالنِّفاقِ الَّذي هو كُفرٌ باطِنٌ!

ووجّهه ابنُ كثير (١٣/ ٤١٩) بقوله: «وهذا محمول منهم على أنهم أرادوا بهذا تقريب المعنى ومثالًا لذلك، لا أنّ هذا هو الذي أُريد من القرآن هذا الجدار المعيّن، ونفس المسجد، وما وراءه من الوادي المعروف بوادي جهنم؛ فإن الجنة في السموات في أعلى عليين، والنار في الدّركات أسفل سافلين».

كما قال تعالى: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا [النساء: 60، 61].

وَتَرَبَّصْتُمْ.

أي: وانتَظَرْتُم بالمُؤمنينَ حوادثَ الدَّهرِ ونوائبَه أن تُهلِكَهم!

كما قال تعالى: وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ [التوبة: 98].

وَارْتَبْتُمْ.

أي: وشَكَكْتُم في الحَقِّ الَّذي جاءَ مِن عِندِ اللهِ تعالى.

قال تعالى: وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ [التوبة: 45].

وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ.

أي: وخَدَعَتْكم أمانيُّ نُفوسِكم الباطِلةُ، فصَرَفَتْكم عن اتِّباعِ الحَقِّ، حتَّى جاءَكم الموتُ!

وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ.

أي: وخدَعكم باللهِ -تعالى- الشَّيطانُ.

فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (15).

فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا.

أي: يَقولُ المُؤمِنونَ للمُنافِقينَ الَّذين سَتَروا كُفْرَهم: ففي هذا اليَومِ –يومِ القيامةِ– لا يُؤخَذُ مِنكم عِوَضٌ مِنَ المالِ بَدَلًا مِن عَذابِ اللهِ؛ فيُخَلِّصَكم منه، ولا يُؤخَذُ أيضًا عِوَضٌ مِنَ الَّذين أظهَروا كُفْرَهم؛ فلا خَلاصَ لكم مِنَ النَّارِ، فأنتم جميعًا مُشترِكونَ في الكُفرِ!

قال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ [آل عمران: 91].

مَأْوَاكُمُ النَّارُ.

أي: مَنزِلُكم ومُقامُكم الَّذي تَصيرونَ إليه وتَسكُنونَ فيه: النَّارُ.

قال تعالى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ [التوبة: 73].

هِيَ مَوْلَاكُمْ.

أي: وتلك النَّارُ هي قَرينتُكم الَّتي تُلازِمُكم وتَضُمُّكم إليها، ومَوضِعُ قُربِكم، ومَصيرُكم؛ فلا قُربَ لكم إلى غَيرِها، ولا مَصيرَ إلى سِواها![20]

وَبِئْسَ الْمَصِيرُ.

أي: وبِئسَ المَرجِعُ النَّارُ!

(20) وجَّه ابنُ عطية (٨/ ٢٣٠) تفسير قوله: ﴿هي مولاكم﴾ بـ «وليكم» بأنه تفسير بالمعنى، ثم قال: «وإنما هي استعارة؛ لأنها من حيث تضمنهم وتباشرهم هي تواليهم، وتكون لهم مكان المولى».

سورةُ الحَديدِ

الآيات (16–19)

أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (16) اعْلَمُوا أَنَّ
اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (17) إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ
وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ (18) وَالَّذِينَ آمَنُوا
بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (19)

غريب الكلمات:

الْأَمَدُ: أي: الزَّمانُ والغايةُ.

الصِّدِّيقُونَ: أي: الَّذين كثُر صِدقُهم وتصديقُهم، وأصلُ (صدق): يدُلُّ على قوَّةٍ في الشَّيءِ قولًا وغيرَه.

الْجَحِيمِ: أي: النَّارِ، والجُحْمَةُ: شدَّةُ تأجُّجِ النَّارِ، ومنه: الجحيمُ، وأصْلُ (جحم): الحرارةُ وشِدَّتُها.

تَفسيرُ الآياتِ:

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (16)﴾.

أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ.

سَبَبُ النُّزولِ:

عن سَعدِ بنِ أبي وقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((أُنزِلَ القُرآنُ على رَسولِ اللهِ - ﷺ -، فتلا عليهم زَمانًا، فقالوا: يا رَسولَ اللهِ، لو قصَصْتَ علينا! فأنزَلَ اللهُ: الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ [يوسف: 1 - 3]، فتلاها عليهم رَسولُ اللهِ - ﷺ - زمانًا، فقالوا: يا رَسولَ اللهِ لو حدَّثْتَنا! فأنزَلَ اللهُ: اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا [الزمر: 23] الآيةَ، كُلُّ ذلك يُؤمَرونَ بالقُرآنِ. قال خَلَّادٌ: وزاد فيه حِينَ قالوا: يا رَسولَ اللهِ ذَكِّرْنا، فأنزَلَ اللهُ: أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ)).(21)

---

(21) أخرجه الطَّحاويُّ في ((شرح مشكل الآثار)) (1157)، وابنُ حِبَّانَ (6209) واللَّفظُ له، والحاكمُ (3319).
صحَّحه ابنُ حِبَّان، والألبانيُّ في ((صحيح الموارد)) (1462)، وصحَّح إسنادَه الحاكمُ، وحسَّن إسنادَه ابنُ تيميَّةَ في ((مجموع الفتاوى)) (40/17)، وحسَّنَ الحديثَ ابنُ حجر في ((المطالب العالية)) (126/4)، وقوَّى إسنادَه شعيبٌ الأرناؤوط في تخريج ((صحيح ابن حبان)) (6209).

عن ابنِ مَسعودٍ رَضِي اللهُ عنه، قال: (ما كان بيْنَ إسلامِنا وبيْنَ أنْ عاتَبَنا اللهُ بهذه الآيةِ: أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ إلَّا أربعُ سِنِينَ).

أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ.

أي: أمَا حانَ للمُؤمِنينَ أن تَلِينَ قُلوبُهم وتَرِقَّ وتَخضَعَ وتَذِلَّ لذِكرِ اللهِ وما نَزَل مِن القُرآنِ؟!

وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ.

أي: وأمَا حانَ للمُؤمِنينَ ألَّا يَكونوا كاليَهودِ والنَّصارى الَّذين أنزَلَ اللهُ عليهم الكِتابَ -التَّوراةَ والإنجيلَ- المُوجِبَ لخُشوعِ القَلبِ والانقيادِ التَّامِّ، مِن قَبلِ نُزولِ القُرآنِ الكريمِ عليكم؟

فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ.

أي: فطالَ على أهلِ الكِتابِ الزَّمانُ.

فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ.

أي: فقَسَت بسَبَبِ طُولِ الزَّمانِ قُلوبُهم، فصارت غَليظةً لا تَلِينُ لِذِكرٍ، ولا تَرِقُّ لِمَوعِظةٍ.

قال تعالى: ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ [البقرة: 74].

وقال سُبحانَه: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ * فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ [الأنعام: 42، 43].

وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ.

أي: وكَثيرٌ منهم خارِجونَ عن طاعةِ اللهِ، ضالُّونَ عن الحقّ والهُدى.

قال تعالى: قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ [المائدة: 59].

اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (17).

اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا.

أي: اعلَموا أنَّ اللهَ تعالى يُحْيي الأرضَ بعْدَ يُبسِها وجَدْبِها، بالماءِ المُنزَّلِ مِنَ السَّماءِ، فكذلك يُحْيي اللهُ القَلْبَ بعْدَ قَسْوتِه وصَلابتِه، بالوَحيِ المُنَزَّلِ مِنَ السَّماءِ.

عن أبي مُوسى الأشعريِّ رَضِيَ اللهُ عنه، عن النَّبيِّ – ﷺ –، قال: ((إنَّ مَثَلَ ما بعَثَني اللهُ به عزَّ وجلَّ مِنَ الهُدى والعِلمِ؛ كَمَثَلِ غَيثٍ أصاب أرضًا، فكانت منها طائفةٌ طيِّبةٌ، قَبِلَتِ الماءَ، فأنبَتَتِ الكَلَأَ والعُشبَ الكثيرَ، وكان منها أجادِبُ[22] أمسَكَتِ الماءَ، فنَفَعَ اللهُ بها النَّاسَ، فشَرِبوا منها وسَقَوْا ورَعَوْا،

(22) الأجادِبُ: الأرضُ الصُّلبةُ الَّتي تُمسِكُ الماءَ؛ مِنَ الجَدْبِ، وهو القَحْطُ، سَمَّاها أجادِبَ؛ لأنَّها لِصَلابَتِها لا تُنبِتُ.

وأصابَ طائفةً منها أخرى، إنَّما هي قِيعانٌ؛[23] لا تُمسِكُ ماءً، ولا تُنبِتُ كَلأً، فذلك مَثَلُ مَنْ فَقُه في دِينِ اللهِ، ونَفَعَه بما بعَثَني اللهُ به، فعَلِمَ وعلَّم، ومَثَلُ مَن لم يَرفَعْ بذلك رأسًا، ولم يَقْبَلْ هُدى اللهِ الَّذي أُرسِلْتُ به)).[24]

قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآَيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ.

أي: قد أوضَحْنا وأظهَرْنا لكم الآياتِ الدَّالَّةَ على الحَقِّ؛ لِتَعقِلوا وتتَّعِظوا وتَعمَلوا بمُوجَبِ ذلك.

قال تعالى: إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآَنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ [الزخرف: 3].

إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ (18).

إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ.

أي: إنَّ المُتصَدِّقينَ والمُتصَدِّقاتِ في سَبيلِ اللهِ مِن طَيِّبِ أموالِهم مُحتَسِبينَ في إنفاقِها، مُبتَغِينَ ما عِندَ رَبِّهم بلا مَنٍّ ولا أذًى- يُثيبُهم اللهُ على ذلك الإنفاقِ أُجورًا كثيرةً، قد تَبلُغُ سَبْعَمِئةِ ضِعفٍ أو أكثَرَ!

القِراءاتُ ذاتُ الأثَرِ في التَّفسيرِ:

يُنظر: ((النهاية)) لابن الأثير (1/242)، ((شرح النووي على مسلم)) (15/47).

(23) القِيعانُ: جمعُ قاعٍ، وهي الأرضُ المُستَوِيةُ الَّتي لا نَباتَ فيها.

يُنظر: ((شرح النووي على مسلم)) (15/47)، ((مرقاة المفاتيح)) للقاري (1/235).

(24) رواه البخاريُّ (79)، ومسلمٌ (2282) واللَّفظُ له.

1- قِراءةُ: الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ بتَخفيفِ الصَّادِ، أي: إنَّ الَّذين صدَّقوا اللهَ ورَسولَه. مِن الصِّدقِ، الَّذي هو خِلافُ الكذبِ.[25]

2- قِراءةُ: الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ بتَشديدِ الصَّادِ، أي: إنَّ المُتصَدِّقينَ والمُتصَدِّقاتِ. مِن التَّصدُّقِ.[26]

وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ.

أي: ولهم ثَوابٌ حَسَنٌ، وجَزاءٌ جَميلٌ.

---

(25) قرأ بها ابنُ كثيرٍ، وشُعبةُ عن عاصِمٍ.
يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (384/2).
ويُنظر لمعنى هذه القراءةِ: ((تفسير ابن جرير)) (412/22)، ((الحجة في القراءات السبع)) لابن خالويه (ص: 192)، ((معاني القراءات)) للأزهري (56/3)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: 701).

(26) قرأ بها الباقون.
يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (384/2).
ويُنظر لمعنى هذه القراءةِ: ((تفسير ابن جرير)) (411/22)، ((معاني القراءات)) للأزهري (56/3)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: 701).

وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (19).

وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ.

أي: والَّذين آمَنوا باللهِ وبرُسُلِه هم الصِّدِّيقونَ الَّذين هم في غايةِ الصِّدقِ وكَثرةِ التَّصديقِ لِما وَجَب التَّصديقُ به، فليس في قُلوبِهم أدنَى شَكٍّ.

قال تعالى: وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا [النساء: 69].

وعن أبي سَعيدٍ الخُدْريِّ رَضِيَ اللهُ عنه، عن النَّبيِّ – ﷺ –، قال: ((إنَّ أهلَ الجنَّةِ لَيَتراءَوْنَ أهلَ الغُرَفِ مِن فَوقِهم، كما تَتراءَونَ الكوكَبَ الدُّرِّيَّ[27] الغابِرَ مِن الأُفُقِ،[28] مِن المَشرِقِ أو المَغرِبِ؛ لِتَفاضُلِ ما بيْنَهم. قالوا: يا رَسولَ اللهِ، تلك مَنازِلُ الأنبياءِ لا يَبلُغُها غيرُهم؟! قال: بلى، والَّذي نفْسي بيَدِه، رِجالٌ آمَنوا باللهِ، وصَدَّقوا المُرسَلينَ)).[29]

---

(27) الدُّرِّيَّ: الشَّديدَ الإضاءةِ.
يُنظر: ((إرشاد الساري)) للقسطلاني (5/285).
(28) الغابِرَ: أي: الباقيَ في الأُفُقِ بعدَ انتِشارِ ضَوءِ الفَجرِ.
يُنظر: ((إرشاد الساري)) للقسطلاني (5/ 285).
(29) رواه البخاريُّ (3256)، ومسلمٌ (2831) واللَّفظُ له.

وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ.

أي: والشُّهَداءُ: لهم ثَوابُ اللهِ في الآخِرةِ، ولهم نُورُهم.(30)

---

(30) اختُلف في قوله: ﴿والشهدآء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم﴾ على أقوال: الأول: أنّ الذين آمنوا بالله ورسله هم الصِّدّيقون وهم الشهداء عند ربهم.

وعلَّق عليه ابنُ القيم (٣/ ١٣٠) بقوله: «وعلى هذا فالشهداء هم الذين يستشهدهم الله على الناس يوم القيامة وهو قوله تعالى: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]، وهم المؤمنون، فوصفهم بأنهم صِدِّيقون في الدنيا وشهداءُ على الناس يوم القيامة، ويكون الشهداء وصفًا لجملة المؤمنين الصديقين».الثاني: أن قوله: ﴿أولئك هم الصديقون﴾ كلام تام.

وقوله: ﴿والشهدآء عند ربهم﴾ كلام مبتدأ.

وفيهم قولان: الأول: أنهم الرسل يشهدون على أممهم بالتصديق والتكذيب.

الثاني: أنهم أمم الرسل يشهدون يوم القيامة.

الثالث: أنهم القتلى في سبيل الله لهم أجرهم عند ربهم، يعني ثواب أعمالهم.

ورجَّح ابنُ جرير (٢٢/ ٤١٥) -مستندًا إلى الأغلب لغة- القول الثالث الذي قاله ابن عباس من طريق العَوفيّ، ومسروق، والضَّحّاك، وأبي الضحى، فقال: «لأن ذلك هو الأغلب من معانيه في الظاهر، وإنّ الإيمان غير موجب في المتعارف للمؤمن اسم شهيد لا بمعنى غيره، إلا أن يراد به شهيد على ما آمن به وصدّقه، فيكون ذلك وجهًا، وإن كان فيه بعض البُعد؛ لأن ذلك ليس بالمعروف من معانيه إذا أطلق بغير وصل، فتأويل قوله: ﴿والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم﴾ إذن: والشهداء الذين قُتلوا في سبيل الله أو هلكوا في سبيله عند ربهم لهم ثواب الله إياهم في الآخرة ونورهم».

ورجَّح ابنُ القيم (٣/ ١٣٠) القول الثاني -مستندًا إلى اللغة، والدلالة العقلية- بما مفاده الآتي: ١ - أنه لو كان الشهداء داخلًا في جملة الخبر لكان قوله تعالى: ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ داخلًا أيضًا في جملة الخبر عنهم، ويكون قد أخبر عنهم بثلاثة أشياء:

أحدها: أنهم هم الصِّدّيقون.

والثاني: أنهم هم الشهداءُ.

والثالث: أنّ لهم أجرهم ونورهم، وذلك يتضمن عطف الخبر الثاني على الأول، ثم ذكر الخبر الثالث مجردًا عن العطف، وهذا كما تقول: زيد كريم وعالم له مال.

والأحسن في هذا تناسب الأخبار بأن تُجرّدها كلّها من العطف أو تعطفها جميعًا فتقول: زيد كريم عالم له مال، أو كريم وعالم وله مال.

٢ - أنّ الكلام يصير جُمَلًا مستقلة قد ذكر فيها أصناف خلْقه السعداء، وهم الصِّدّيقون والشهداء والصالحون، وهم المذكورون في الآية، وهم المتصدقون الذين أقرضوا الله قرضًا حسنًا، فهؤلاء ثلاثة أصناف، ثم ذكر الرسل في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [الحديد: ٢٥]، فيتناول ذلك الأصناف الأربعة المذكورة في سورة النساء.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ.

أي: والَّذين كَفَروا باللهِ ورُسُلِه، وكَذَّبوا بآياتِ القُرآنِ الدَّالَّةِ على الحَقِّ: أولئك مُلازِمونَ للنَّارِ الشَّديدةِ التَّوَقُّدِ.

ذكر ابنُ عطية (٨/ ٢٣٣) قولًا بأن الشهداء من معنى الشاهد، لا من معنى الشهيد، وعلَّق عليه بقوله: «وذلك نحو قوله تعالى: ﴿وتكونوا شهداء على الناس﴾ [الحج: ٧٨]، فكأنه قال في هذه الآية: هم أهل الصدق والشهادة على الأمم عند ربهم».

سورةُ الحَديدِ

الآيتان (20–21)

اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ **(20)** سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ **(21)**

غريب الكلمات:

وَلَهْوٌ: اللَّهْوُ: ما يَشغَلُ الإنسانَ عمَّا يَعْنِيه ويُهِمُّه، وكُلُّ باطِلٍ ألهَى عن الخَيرِ، وأصلُ (لهو): يدُلُّ على شُغلٍ عن شَيءٍ بِشَيءٍ.

وَتَفَاخُرٌ: أي: يَفخَرُ بَعضُكم على بعضٍ بما أُعطِيَ مِن مَتاعِ الدُّنيا؛ مِنَ الفَخْرِ: وهو المُباهاةُ في الأشياءِ الخارجةِ عن الإنسانِ، كالمالِ والجاهِ، وأصلُ (فخر): يدُلُّ على تعاظُمٍ.

وَتَكَاثُرٌ: التَّكاثُرُ: التَّباهي والتَّباري بكَثرةِ المالِ والعزِّ، وأصلُ (كثر): يدُلُّ على خِلافِ القِلَّةِ.

غَيْثٍ: أي: مطَرٍ، وسُمِّيَ المطرُ غَيْثًا؛ لأنَّه يُغيثُ الخلْقَ، وقيل: الغَيثُ هو مطرٌ في إبَّانِه، وإلَّا فمطرٌ.

الْكُفَّارَ: أي: الزُّرَّاعَ؛ لأنَّ الكُفرَ هو التَّغطيةُ، والزَّارِعُ يُغَطِّي البَذْرَ أو الحبَّةَ، ويَستُرُها في التُّرابِ. وقيل: الكُفَّارُ هنا هم الكُفَّارُ باللهِ، وأصلُ (كفر): يدُلُّ على السَّترِ والتَّغطيةِ.

يَهِيجُ: أي: يَيبَسُ بعدَ أنْ كان أخضَرَ نَضِرًا، وأصلُ (هيج) هنا: يدُلُّ على يُبْسِ نَباتٍ.

حُطَامًا: أي: فُتاتًا، والحُطامُ: ما تحطَّمَ مِن عِيدانِ الزَّرْعِ إذا يَبِسَ، وأصلُ (حطم): يدُلُّ على كَسرِ شَيْءٍ.

مَتَاعُ الْغُرُورِ: أي: مَتاعٌ زائِلٌ باطِلٌ يَخدَعُ مَن يَركَنُ إليه، ومَتاعُ الغُرورِ: الشَّيءُ الَّذي لا يُعظِّمُ الاستِمتاعَ به إلا مُغْتَرٌّ، وهو كُلُّ ما يُلْهِي عن طَلَبِ الآخرةِ، وأصلُ (متع): المنفعةُ، وامتِدادُ مدَّةٍ في خَيرٍ، وأصلُ (غرر) هنا: يدُلُّ على نُقْصانٍ.

تفسير الآيتين:

اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (20).

اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ.

أي: اعلَموا أنَّ حَقيقةَ الحياةِ الدُّنيا أنَّها لَعِبٌ وهَزْلٌ باطِلٌ مُنقَطِعٌ لا دوامَ له، ولهوٌ يُلْهِي ويَفرَحُ النَّاسُ ويَتلَذَّذونَ به، ثمَّ يَنقَضي!

كما قال تعالى: وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ [الأنعام: 32].

وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ.

أي: والحياةُ الدُّنيا زِينةٌ تتزَيَّنونَ بها، وتَستَطِيبونَ شَهَواتِها، وتَستَحسِنونَ مَنظَرَها وزُخْرُفَها، وهي تفاخُرٌ بَيْنَكم؛ فيَفخَرُ بَعضُكم على بَعضٍ بما حَصَّله منها!

قال تعالى: زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ [آل عمران: 14].

وعن أبي مالكٍ الأَشعَريِّ رَضِيَ اللهُ عنه، أنَّ النَّبيَّ – ﷺ – قال: ((أربَعٌ في أُمَّتي مِن أمرِ الجاهِليَّةِ لا يَترُكونَهنَّ: الفخرُ في الأحسابِ،[31] والطَّعنُ في الأنسابِ، والاستِسقاءُ بالنُّجومِ، والنِّياحةُ!)).[32]

وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ.

أي: وهي تكاثُرٌ؛ تتكَثَّرونَ فيها مِنَ الأموالِ والأولادِ، وتَتباهَونَ فيها بكَثرةِ ذلك بَيْنَكم!

قال الله تعالى: فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا [الكهف: 34].

وقال سُبحانَه: أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ [التكاثر: 1].

كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ.

أي: كمَثَلِ مَطَرٍ جاءَ بعْدَ قُنوطِ النَّاسِ، فأنبَتَت به الأرضُ المُجدِبةُ زُروعًا استَحسَنَها الكُفَّارُ.[33]

---

(31) الفَخرُ في الأحسابِ أي: التَّفاخُرُ والتَّكبُّرُ والتَّعظيمُ بعَدِّ الرَّجُلِ مَناقِبَه، ومآثِرَ آبائِه، وتفضيلِه نفْسَه على غيرِه.
يُنظر: ((مرقاة المفاتيح)) للملا علي القاري (3/1234).

(32) رواه مسلم (934).

(33) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٢٣٥) أنه اختُلف في لفظة ﴿الكفار﴾ هنا على قولين: الأول: هو من الكفر بالله.
وعلَّق عليه بقوله: «وذلك لأنهم أشد تعظيمًا للدنيا، وأشد إعجابًا بمحاسنها».
الثاني: هو مِن: كفَر الحَب، أي: ستره في الأرض، وهم الزُّراع.
وعلَّق عليه بقوله: «وخصّهم بالذكر؛ لأنهم أهل البصر بالنبات والفلاحة، فلا يعجبهم إلا المعجب حقيقة الذي لا عيب له».

كما قال تعالى: زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا [البقرة: 212].

وقال سُبحانَه: أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا [فاطر: 27].

ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا.

أي: ثمَّ يَبتَدِئُ ذلك الزَّرعُ بالجَفافِ واليُبْسِ، فيُرى بعْدَ تَمامِ خُضرتِه ونَضْرتِه ذابِلًا مُصْفَرَّ اللَّونِ!

ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا.

أي: ثمَّ يَصيرُ بعدَ تَناهي جَفافِه ويُبْسِه فُتاتًا مُتَكَسِّرًا!

كما قال تعالى: وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا [الكهف: 45].

وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ.

أي: وفي الآخِرةِ يَقَعُ عذابٌ شَديدٌ على الكافِرينَ باللهِ -تعالى- وبرُسُلِه، الَّذين اغتَرُّوا بالدُّنيا الزَّائلةِ، وأعرَضوا عن الآخِرةِ الباقيةِ.

وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ.

ذكر ابنُ عطية (٨/ ٢٣٥) أنّ عكرمة فسّر متاع الغرور بالقوارير.
ووجّهه بقوله: «لأن الفساد والآفات تُسرع إليها، فالدنيا كذلك، أو هي أشد».

أي: وفي الآخِرةِ تَكونُ مَغفِرةٌ مِنَ اللهِ لذُنوبِ عِبادِه الَّذين سَعَوا للآخِرةِ سَعْيَها، ورِضوانٌ مِن اللهِ تعالى يُحِلُّه على أهلِ جَنَّتِه.

وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ.

أي: وما الحياةُ الدُّنيا إلَّا مَتاعٌ يتمَتَّعُ به النَّاسُ زَمَنًا قليلًا، يَغُرُّ النَّاظِرينَ إليه، وهو زائِلٌ، ويَخدَعُ مَن يَركَنُ إليه، وهو باطِلٌ!

كما قال تعالى: فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآَخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ [التوبة: 38].

وعن المُستَورِدِ بنِ شَدَّادٍ الفِهْريِّ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: قال رَسولُ اللهِ – ﷺ –: ((واللهِ ما الدُّنيا في الآخِرةِ إلَّا مِثلُ ما يَجعَلُ أحَدُكم إِصْبَعَه هذه –وأشار يحيى[34] بالسَّبَّابةِ – في اليَمِّ، فلْيَنظُرْ بمَ تَرجِعُ؟!)).[35]

وعن سَهلِ بنِ سَعدٍ السَّاعِديِّ رَضِيَ اللهُ عنهما، قال: قال رَسولُ اللهِ – ﷺ –: ((مَوضِعُ سَوطٍ في الجَنَّةِ خَيرٌ مِنَ الدُّنيا وما فيها)).[36]

---

(34) وهو يحيى بنُ يحيى التَّميمي، أبو زكريَّا النَّيسابوري، أحدُ رواةِ الحديثِ.
(35) رواه مسلم (2858).
(36) رواه البخاري (3250، 6415).

سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (21).

سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ.

أي: سابِقُوا غيرَكم وبادِروا إلى عَمَلٍ ما يُوجِبُ لكم تحقيقَ المَغفِرةِ مِن رَبِّكم لذُنوبِكم، فيَستُرُها عليكم، ويَتجاوَزُ عن مُؤاخَذتِكم.

قال تعالى: فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ [البقرة: 148].

وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ.

أي: وسابِقوا إلى جَنَّةٍ عَرْضُها كعَرْضِ السَّمواتِ والأرضِ، لو بُسِطَت ووُصِلَ بَعضُها ببَعضٍ!

كما قال تعالى: وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ [آل عمران: 133].

أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ.

أي: أُعِدَّت تلك الجَنَّةُ وهُيِّئَتْ للَّذين آمَنوا باللهِ تعالى، وآمَنوا برُسُلِه عليهم السَّلامُ.

ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ.

أي: دُخولُ تلك الجَنَّةِ فَضلٌ مِنَ اللهِ تعالى تَفَضَّلَ به عليهم، واللهُ يُعطي فَضْلَه مَن يَشاءُ مِن عِبادِه بحَسَبِ ما تَقتَضيه حِكْمتُه.

قال تعالى: وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا * ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا [النساء: 69، 70].

وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ.

أي: واللهُ صاحِبُ الفَضلِ العَظيمِ والثَّوابِ الكَبيرِ، فلا يَبعُدُ منه عزَّ وجلَّ التَّفضُّلُ بذلك على مَن يَشاءُ وإنْ عَظُمَ قَدْرُه.

كما قال تعالى: أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً [لقمان: 20].

وقال سُبحانَه: اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ [غافر: 61].

سورةُ الحَديدِ

الآيات (22–24)

مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (22) لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (23) الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (24)

غريب الكلمات:

مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ: المصيبةُ: الأمرُ المكروهُ يَنزِلُ بالإنسانِ، يُقالُ: أصابَ السَّهمُ: إذا وصل إلى المرمى بالصَّوابِ، والمُصيبَةُ أصلُها في الرَّميةِ، ثمَّ اختصَّتْ بالنَّائبةِ، و(أصاب) جاء في الخَيرِ والشَّرِّ؛ قيل: الإصابةُ في الخَيرِ اعتِبارًا بالصَّوْبِ، أي: المطرِ، وفي الشَّرِّ اعتبارًا بإصابةِ السَّهمِ، وكِلاهما يَرجِعُ إلى أصلٍ واحدٍ، وأصلُ (صوب): يدُلُّ على نُزولِ شَيءٍ واستِقرارِه قَرارَه.

نَبْرَأَهَا: أي: نَخلُقَها، وأصلُ (برأ): يدُلُّ على الخَلْقِ.

تَأْسَوْا: أي: تَحْزَنوا، يُقالُ: أَسِيتُ على الشَّيءِ أَسًى، أي: حَزِنتُ عليه.

مُخْتَالٍ: أي: مُتكَبِّرٍ ذي خُيَلاءَ، وأصلُ (خيل): يدُلُّ على حَرَكةٍ في تَلَوُّنٍ؛ لأنَّ المُخْتالَ في مِشْيَتِه يتلَوَّنُ في حَرَكتِه ألوانًا.

فَخُورٍ: أي: كثيرِ الخُيَلاءِ والفَخرِ، وأصلُ (فخر): يدُلُّ على عِظَمٍ وقِدَمٍ.

الْحَمِيدُ: أي: المحمودُ على كلِّ حالٍ، وفي جميعِ أفعالِه وأقوالِه، وشَرْعِه وقَدَرِه، والمحمودُ على ما لَه مِن الكَمالِ، وعلى نِعَمِه الَّتي أنْعَمها على خلْقِه، المستحِقُّ لكلِّ حَمْدٍ، والحمدُ إخبارٌ عن مَحاسنِ المحمودِ مع حُبِّه وإجلالِه وتَعظيمِه، وقيل: هو أيضًا بمعنى حامِدٍ، يَحمَدُ كُلَّ مَن يَستحِقُّ الحَمدَ منه، وأصلُ (حمد): يدُلُّ على خِلافِ الذَّمِّ.

تفسير الآيات:

مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (22).

مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا.

أي: ما وَقَع في الأرضِ مِن مُصيبةٍ، كقَحْطِها وهَلاكِ زَرْعِها وثَمَرِها، أو في أنفُسِكم، كالأمراضِ والأوجاعِ، والفَقرِ والمَوتِ- إلَّا وهي مكتوبةٌ في اللَّوحِ المحفوظِ مِن قَبلِ أن نَخلُقَ ذلك.(37)

كما قال تعالى: مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ [التغابن: 11].

إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ.

---

(37) اختُلف في عوْد الضمير في قوله: ﴿نبرأها﴾ على أقوال: الأول: أنه عائد على المصيبة.
الثاني: أنه عائد على الأنفس.
الثالث: على الأرض.
ذكره ابنُ عطية (٨/ ٢٣٧)، ونقل عن المهدوي القول بجواز عود الضمير على جميع ما ذُكر، ثم علَّق بقوله: «وهي كلّها معانٍ صحاح؛ لأن الكتاب السابق أزلي قبل هذه كلّها».
وذكر ابنُ القيم (٣/ ١٣٢) أنه قيل بعوْده على الأنفس لقربه منها، ورجَّح -مستندًا إلى السياق- عَوْده على الأنفس، وهو القول الثاني الذي قاله ابن عباس، وقتادة، وابن زيد، ومقاتل، والضَّحّاك، والحسن، وأبو العالية، فقال: «والتحقيق أن يُقال: هو عائد على البريّة التي تعمّ هذا كلّه، ودل عليه السياق وقوله: ﴿نبرأها﴾، فينتظم التقادير الثلاثة انتظامًا واحدًا».
وبنحوه ابنُ كثير (١٣/ ٤٣٠).
ثم علَّق ابنُ القيم بما يفيد ميله للعموم، فذكر أنه سبحانه قدّر ما يصيبهم مِن البلاء في أنفسهم قبل أن يبرأ الأنفس، أو المصيبة، أو الأرض، ثم قال: «أو المجموع، وهو الأحسن».

أي: إنَّ ذلك أمرٌ سَهلٌ وهَيِّنٌ على اللهِ تعالى، لا يتعذَّرُ عليه سُبحانَه؛ لإحاطَةِ عِلمِه، وكمالِ قُدْرَتِه.

كما قال تعالى: أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ [الحج: 70].

لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (23).

لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ.

أي: أخبَرْناكم بأنَّ كلَّ مصيبةٍ تقعُ فهي في كتابٍ؛ لِكَيْلا يَشتَدَّ حُزنُكم على شَيءٍ فاتَكم مِن مَتاعِ الدُّنيا.

وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ.

أي: ولِكَيلا تفرَحوا فَرَحَ بَطَرٍ وفَخْرٍ على غَيرِكم بما أعطاكم اللهُ مِن مَتاعِ الدُّنيا.

كما قال تعالى: إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ [القصص: 76].

وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ.

أي: واللهُ لا يُحِبُّ كلَّ مُتكَبِّرٍ في نَفْسِه بما أُوتِيَ مِنَ الدُّنيا، فَخورٍ به على النَّاسِ.

الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (24).

الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ.

أي: وهم مع اختيالِهِم وفَخْرِهِم هذا يَبخَلونَ بما أُوتُوه مِن نِعَمٍ، فيَمتَنِعونَ عن إخراجِ ما وَجَب عليهم بَذْلُه منها، ويأمُرونَ غَيْرَهم بذلك.(38)

كما قال الله تبارك وتعالى عن المُنافِقينَ: هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ [المنافقون: 7].

وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ.

أي: ومَن يُعْرِضْ فإنَّ اللهَ هو الغَنِيُّ عن خَلْقِه غِنًى تامًّا مُطلَقًا؛ المحمودُ في ذاتِه وأسمائِه وصِفاتِه، وأفعالِه وأقوالِه، كثيرُ الحَمدِ لِمَن يَستحِقُّ الحَمدَ منه.

كما قال الله تبارك وتعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ [فاطر: 15].

وقال سُبحانَه: وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ [محمد: 38].

---

(38) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٢٣٨) أنّ قوله تعالى: ﴿ويأمرون الناس بالبخل﴾ يحتمل احتمالين: الأول: أن يصفهم بحقيقة الأمر بألسنتهم.

الثاني: أن يريد: أنهم يُقتدى بهم في البخل؛ فهم لذلك كأنهم يأمرون.

عن أبي ذَرٍّ الغِفاريِّ رَضِيَ اللهُ عنه، عن النَّبيِّ – ﷺ – فيما روَى عن اللهِ تبارك وتعالى أنَّه قال: ((يا عبادي إنَّكم لن تَبلُغوا ضَرِّي فتَضُرُّوني، ولن تَبلُغوا نَفعي فتَنفَعوني، يا عبادي لو أنَّ أوَّلَكم وآخِرَكم وإنسَكم وجِنَّكم كانوا على أتقَى قَلبِ رَجُلٍ واحدٍ منكم، ما زاد ذلك في مُلكي شَيئًا، يا عبادي لو أنَّ أوَّلَكم وآخِرَكم وإنسَكم وجِنَّكم كانوا على أفجَرِ قَلبِ رَجُلٍ واحدٍ، ما نقَص ذلك مِن مُلكي شَيئًا، يا عبادي لو أنَّ أوَّلَكم وآخِرَكم وإنسَكم وجِنَّكم قاموا في صعيدٍ واحدٍ فسألوني فأعطيتُ كُلَّ إنسانٍ مَسألتَه، ما نقَصَ ذلك ممَّا عندي إلَّا كما يَنقُصُ المِخْيَطُ إذا أُدخِلَ البَحرَ، يا عبادي إنَّما هي أعمالُكم أُحصيها لكم، ثمَّ أُوَفِّيكم إيَّاها، فمَن وَجَد خَيرًا فلْيَحمَدِ اللهَ، ومَن وجَد غَيرَ ذلك فلا يَلومَنَّ إلَّا نَفْسَه)).[39]

(39) رواه مسلم (2577).

سورةُ الحَديدِ

الآيات (25-27)

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا
الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ
عَزِيزٌ (25) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ
وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (26) ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ
الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا
ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ
فَاسِقُونَ (27)

غريب الكلمات:

بِالْقِسْطِ: أي: بالعدلِ، وأصلُ القِسطِ يدُلُّ على مَعنيَينِ مُتضادَّيْنِ: العَدلِ، والجَوْرِ؛ يُقالُ: أَقْسَطَ: إذا عدَل، وقَسَط: إذا جارَ.

بَأْسٌ: أي: قُوَّةٌ وشِدَّةٌ، وأصلُ (بأس): يدُلُّ على الشِّدَّةِ وما ضارَعَها.

قَفَّيْنَا: أي: أتْبَعْنا، تَقولُ: قَفَوْتُ الرَّجُلَ: إذا تَبِعْتَه وسِرْتَ في أثَرِه، وأصلُ (قفو): يدُلُّ على إتباعِ شَيءٍ لِشَيءٍ.

رَأْفَةً: الرَّأفةُ: أشَدُّ الرَّحمةِ، وأعلَى معانيها، وأبلغُها وأرَقُّها، وأصلُ (رأف): يدُلُّ على رِقَّةٍ ورحمةٍ.

وَرَهْبَانِيَّةً: الرَّهْبانيَّةُ: الغُلُوُّ في التَّعَبُّدِ، بالانفِرادِ في الجِبالِ، والانقِطاعِ عن النَّاسِ في الصَّوامِعِ، ورَفْضِ النِّساءِ، وتَرْكِ الدُّنيا، وهي اسمٌ مَبنيٌّ مِنَ «الرَّهبةِ» بمعنى الخَوفِ، وأصلُ (رهب): يدُلُّ على الخَوفِ.

ابْتَدَعُوهَا: أي: أحْدَثوها واختَرَعوها، وأصلُ (بدع): يدُلُّ على ابتِداءِ شَيءٍ وصُنْعِه لا عن مِثالٍ.

تفسير الآيات:

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (25).

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ.

أي: لقد أرسَلْنا رُسُلَنا بالحُجَجِ والبَراهينِ الواضِحةِ الدَّالَّةِ على صِدْقِهم.

وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ.

أي: وأنزَلْنا مع رُسُلِنا الكِتابَ بالحَقِّ، وأنزَلْنا معهم العَدْلِ؛[40] لِيَتعامَلَ النَّاسُ بَيْنَهم بالعَدلِ.

كما قال تعالى: اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ [الشورى: 17].

---

(40) اختُلف في ﴿الميزان﴾ على قولين: الأول: أنه العدل.

الثاني: أنه الذي يوزن به.

وعلَّق ابنُ عطية (٥/ ٢٦٩ ط: دار الكتب العلمية) على القول الثاني الذي قاله ابن زيد بقوله: «وهذا جزء من القول الأول».

ثم قال (٨/ ٢٣٨): «وقوله: ﴿ليقوم الناس بالقسط﴾ يُقوي القول الأول».

وذكر أنّ القول الأول قول أكثر المتأولين.

وساق ابنُ تيمية (٦/ ٢٢١) القولين، ثم علَّق بقوله: «وهما متلازمان».

وقال سُبحانَه: كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [البقرة: 213].

وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ.

أي: وخَلَقْنا الحديدَ، فيه قُوَّةٌ وصَلابةٌ شَديدةٌ، ومنه تُصنَعُ آلاتُ الحربِ.(41)

وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ.

أي: وفي الحديدِ مَنافِعُ كَثيرةٌ للنَّاسِ في مَعايِشِهم وحاجاتِهم المُتنَوِّعةِ.

وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ.

أي: ولِيَعلَمَ اللهُ -عِلمَ رُؤيةٍ وظُهورٍ للوُجودِ يَترتَّبُ عليه الثَّوابُ والعِقابُ- مَن يَنصرُ دينَ اللهِ، ويَنصرُ رُسُلَه، بالغَيبِ.

---

(41) اختُلف في قوله: ﴿وأنزلنا الحديد﴾ على قولين: الأول: أنه أراد به: جنسه من المعادن وغيرها.

الثاني: أنه أراد به: السلاح.

وعلَّق ابنُ عطية (٨/ ٢٣٨ – ٢٣٩) على القول الثاني الذي قاله مجاهد، وابن زيد، ومقاتل، بقوله: «ويترتب معنى الآية: فأن الله أخبر أنه أرسل رسلًا، وأنزل كتبًا، وعدلًا مشروعًا، وسلاحًا، يحارب به مَن عاند، ولم يهتدِ بهدي الله، فلم يبق عذر، وفي الآية -على هذا التأويل- حضٌّ على القتال وترغيب فيه».

ثم قال: «وقوله: ﴿وليعلم الله من ينصره﴾ يقوّي هذا التأويل».

إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ.

أي: إنَّ اللهَ ذو القُوَّةِ البالغةِ فلا يُعجِزُه شَيءٌ، وذو العِزَّةِ التَّامَّةِ فيَمتَنِعُ عليه كُلُّ عَيبٍ وسُوءٍ ونَقصٍ؛ فهو الغالِبُ القاهِرُ الَّذي لا يُغلَبُ ولا يُقهَرُ!

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (26).

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ.

أي: ولقد أرسَلْنا نُوحًا وإبراهيمَ إلى قَومِهما.

وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ.

أي: وجعَلْنا في نَسْلِ نُوحٍ وإبراهيمَ جَميعَ الأنبياءِ والكُتُبِ الإلهيَّةِ مِن بَعْدِهما؛ كالتَّوراةِ، والزَّبُورِ، والإنجيلِ، والقُرآنِ.

كما قال تعالى عن نُوحٍ عليه السَّلامُ: وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ [الصافات: 77 – 79].

وقال سُبحانَه عن إبراهيمَ عليه السَّلامُ: وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ [العنكبوت: 27].

وقال الله تبارك وتعالى عن إبراهيمَ عليه السَّلامُ: وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ * وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ [الصافات: 112، 113].

فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ.

أي: فمِن ذُرِّيَّةِ نُوحٍ وإبراهيمَ مَن هو مُهْتَدٍ إلى الحَقّ.

وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ.

أي: وكثيرٌ مِن ذُرِّيَّتِهما خارِجونَ عن طاعةِ اللهِ، ضالُّونَ عن طَريقِ الحَقِّ والهُدى.

ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (27).

ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا.

أي: ثمَّ أتبَعْنا على آثارِهم رُسُلَنا إلى أقوامِهم، فأرسَلْناهم واحِدًا تِلْوَ آخَرَ.

كما قال الله تبارك وتعالى: ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ [المؤمنون: 44].

وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ.

أي: وأرسَلْنا مِن بَعْدِهم عيسى ابنَ مَريَمَ، وآتَيْناه الكِتابَ المُسَمَّى بالإنجيلِ.

كما قال تعالى: وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ [المائدة: 46].

وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً.

أي: وجعَلْنا في قُلوبِ الَّذين اتَّبَعوا عِيسى على دِينِه رِقَّةً ولِينًا ورَحمةً.

كما قال تعالى: لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ * وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ [المائدة: 82 – 84].

وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ.

أي: ورَهبانيَّةً ابتَدَعوها مِن عِندِ أنفُسِهم، ولم نَفرِضْها عليهم؛ فاعتَزَلوا النَّاسَ، ورفَضوا الزَّواجَ، وتَركوا الدُّنيا، وآثَروا العُكوفَ والتَّفَرُّغَ للعبادةِ في الصَّوامِعِ أو الجِبالِ أو غَيرِها![42]

(42) اختُلف في قوله تعالى: ﴿ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله﴾ على قولين: الأول: أنّ المعنى: أنّ الله كتبها عليهم ابتغاء رضوان الله.

الثاني: أنّ المعنى: أنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله.

وذكر ابنُ عطية (٨/ ٢٤٠) أن مجاهدًا قال: المعنى: كتبناها عليهم ابتغاء رضوان الله.

وعلَّق عليه بقوله: «ف» كتب «–على هذا– بمعنى: قضى».

وانتقد ابنُ القيم القول الأول مستندًا للغة، وظاهر لفظ الآية، فقال: «وهذا فاسد، فإنه لم يكتبها عليهم سبحانه، كيف وقد أخبر: أنهم هم ابتدعوها؟ فهي مبتدعة غير مكتوبة».

وبيّن أنّ قوله تعالى: ﴿إلا ابتغاء...﴾ على هذا يكون مفعولًا لأجله.

وعلَّق عليه بقوله: «المفعول لأجله يجب أن يكون علة لفعل الفاعل المذكور معه.

فيتّحد السبب والغاية، نحو: قمت إكرامًا.

فالقائم هو المكرم.

وفعل الفاعل هاهنا هو» الكتابة «، و﴿ابتغاء رضوان الله﴾ فِعْلهم لا فعل الله؛ فلا يصلح أن يكون عِلّة لفعل الله، لاختلاف الفاعل».

وبنحوه ابنُ تيمية (٦/ ٢٣٤ – ٢٣٥)، وزاد فقال: «تخصيص الرّهبانيّة بأنه كتبها ابتغاء رضوان الله دون غيرها تخصيص بغير موجب، فإنّ ما كتبه ابتداء لم يذكر أنه كتبه ابتغاء رضوانه؛ فكيف بالرّهبانيّة؟!».

وانتقد ابنُ تيمية (٦/ ٢٣٥) القول الثاني مستندًا لظاهر الآية، واللغة، فقال: «وأما قول مَن قال: ما فعلوها إلا ابتغاء رضوان الله.

فهذا المعنى لو دل عليه الكلام لم يكن في ذلك مدحٌ للرّهبانيّة، فإنّ مَن فعل ما لم يأمر الله به بل نهاه عنه مع حُسن مقصده غايته أن يُثاب على قصده، لا يثاب على ما نُهي عنه، ولا على ما ليس بواجب ولا مستحبّ، فكيف والكلام لا يدل عليه، فإنّ الله قال: ﴿ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله﴾ ولم يقل: ما فعلوها إلا ابتغاء رضوان الله، ولا قال: ما ابتدعوها إلا ابتغاء رضوان الله.

ولو كان المراد: ما فعلوها أو ما ابتدعوها إلا ابتغاء رضوان الله؛ لكان منصوبًا على المفعولية، ولم يتقدم لفظ الفعل ليعمل فيه، ولا نفى الابتداع، بل أثبته لهم، وإنما تقدم لفظ الكتابة».

وذكر ابنُ القيم (٣/ ١٣٣) أنه على هذا القول فقوله: ﴿إلا ابتغاء رضوان الله﴾ منصوب على أنه بدل من مفعول ﴿ما كتبناها﴾، وانتقده مستندًا إلى اللغة، فقال: «وهو فاسد؛ إذ ليس ابتغاء رضوان الله عين الرّهبانيّة، فتكون بدل الشيء من الشيء.

ولا بعضها، فتكون بدل بعض من كلّ، ولا أحدهما مشتمل على الآخر؛ فتكون بدل اشتمال، وليس بدل غلط».

وذكر ابنُ تيمية (٦/ ٢٣٣) أن البعض قال: قوله تعالى: ﴿ورهبانية ابتدعوها﴾ عطف على ﴿رأفة﴾، ﴿ورحمة﴾، وأنّ المعنى: أنّ الله جعل في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية أيضًا ابتدعوها، وجعلوا الجعْل شرعيًا ممدوحًا «.

وانتقده مستندًا للدلالة العقلية، والواقع، فقال:» هذا غلط لوجوه.

منها: أنّ الرّهبانيّة لم تكن في كلّ مَن اتبعه، بل الذين صحبوه كالحواريين لم يكن فيهم راهب وإنما ابتُدعت الرّهبانيّة بعد ذلك بخلاف الرأفة والرحمة، فإنها جُعلت في قلب كلّ مَن اتبعه.

إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ.

ومنها: أنه أخبر أنهم ابتدعوا الرّهبانيّة بخلاف الرأفة والرحمة، فإنهم لم يبتدعوها وإذا كانوا ابتدعوها لم يكن قد شـرعها لهم، فإن كان المراد هو الجعل الشـرعي الديني لا الجعل الكوني القدري فلم تدخل الرّهبانيّة في ذلك، وإن كان المراد الجعل الخلقي الكوني فلا مدح للرّهبانيّة في ذلك.

ومنها: أنّ الرأفة والرحمة جعلها في القلوب والرّهبانيّة لا تختص بالقلوب، بل الرّهبانيّة ترك المباحات من النكاح واللحم وغير ذلك «.

وساق ابنُ عطية احتمالًا آخر، فقال:» ويحتمل اللفظ أن يكون المعنى: ما كتبناها عليهم إلا في عموم المندوبات؛ لأن ابتغاء مرضاة الله بالقُرَب والنوافل مكتوب على كلّ أُمّة «.

وعلّق عليه بقوله:» فالاستثناء –على هذا الاحتمال– متصل".

ورجّح ابنُ تيمية (٦/ ٢٣٥) –مستندًا إلى الدلالة العقلية– أنّ قوله تعالى: ﴿ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا رضوان الله﴾ منصوب نصب الاستثناء المنقطع، أي: وابتدعوا رهبانيةً ما كتبناها عليهم، لكن كتبنا عليهم ابتغاء رضوان الله.

فقال: «فإنّ إرضاء الله واجب مكتوب على الخلْق، وذلك يكون بفعل المأمور وبترك المحظور، لا بفعل ما لم يأمر بفعله وبترك ما لم ينه عن تركه، والرّهبانيّة فيها فعل ما لم يؤمر به وترك ما لم ينه عنه».

ورجّحه ابنُ القيم (٣/ ١٣٣ – ١٣٤) مستندًا إلى السياق، فقال: «فالصواب: أنه منصوب نصب الاستثناء المنقطع... ودلّ على هذا قول: ﴿ابتدعوها﴾».

عن يحيى بن سلّام –من طريق أحمد– في قوله: ﴿رأفةً ورحمةً﴾ قال: ثم استأنف الكلام، فقال: ﴿ورهبانية ابتدعوها﴾ لم يكتبها اللهُ عليهم، ولكن ابتدعوها ليتقرّبوا بها إلى الله – عز وجل –.

قال يحيى: ففرضها اللهُ عليهم.

أخرجه أبو عمرو الداني في المكتفى ص ٢١٣ رقم (٣٧).

انتقد ابن تيمية (٦/ ٢٣٤) ما أفاده هذا القول من أنهم لما ابتدعوها كتب عليهم إتمامها مستندًا لظاهر الآية، والدلالة العقلية، فقال: «وليس في الآية ما يدلُّ على ذلك، فإنه قال: ﴿ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها﴾، فلم يذكر أنه كتب عليهم نفس الرّهبانيّة ولا إتمامها ولا رعايتها، بل أخبر أنهم ابتدعوا بدعة، وأنّ تلك البدعة لم يَرْعَوها حقّ رعايتها.

فإن قيل: قوله تعالى: ﴿فما رعوها حق رعايتها﴾ يدلّ على أنهم لو رَعَوها حقّ رعايتها لكانوا ممدوحين.

قيل: ليس في الكلام ما يدلّ على ذلك، بل يدلّ على أنهم –مع عدم الرعاية– يستحقّون من الذّم ما لا يستحقّونه بدون ذلك، فيكون ذمّ من ابتدع البدعة ولم يَرعَها حقّ رعايتها أعظم من ذمّ مَن رعاها، وإن لم يكن واحد منهما محمودًا، بل مذمومًا، مثل: نصارى بني تغلب ونحوهم ممن دخل في النصرانية ولم يقوموا بواجباتها، بل أخذوا منها ما وافق أهواءهم، فكان كفرهم وذمّهم أغلظ مِمّن هو أقلُّ شرًّا منهم، والنار دركات، كما أنّ الجنة درجات».

أي: ما ابتَدَعوها إلّا طَلَبًا لِرِضا اللهِ تعالى.

فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا.

أي: فما رَعَوا تلك الرَّهبانيَّةَ الَّتي ابتَدَعوها الرِّعايةَ الواجِبةَ، وما قاموا بها حَقَّ القيامِ.(43)

فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ.

أي: فآتَيْنا المؤمِنينَ مِنهم ثوابَ إيمانِهم.

وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ.

أي: وكثيرٌ مِن أولئك خارِجونَ عن طاعةِ اللهِ، ضالُّونَ عن طَريقِ الحَقِّ والهُدى.

---

(43) اختُلف في الذين لم يرعَوا الرّهبانيّة حقّ رعايتها على قولين: الأول: أنهم هم الذين ابتدعوها.

الثاني: أنهم الذين اتّبعوا مبتدعي الرّهبانيّة في رهبانيتهم.

وعلّق ابنُ عطية (٨/ ٢٤٠) على القول الأول الذي قاله ابن عباس، من طريق العَوفيّ، والضَّحّاك، وأبو أمامة الباهلي، وابن زيد، بقوله: «والكلام سائغ، وإن كان فيهم من رعى، أي: لم يرعوها بأجمعهم، وفي هذا التأويل لزوم الإتمام لكل من بدأ بتنفل وتطوع، وأنه يلزمه أن يرعاه حقّ رعايته».

ورجّح ابنُ جرير (٢٢/ ٤٣٣) -مستندًا إلى السياق- القول الأول، فقال: «وذلك أنّ الله -جلّ ثناؤه- أخبر أنه آتى الذين آمنوا منهم أجرهم؛ قال: فدلّ بذلك على أنّ منهم مَن قد رعاها حقّ رعايتها، فلو لم يكن منهم مَن كان كذلك لم يكن مستحقّ الأجر الذي قال -جل ثناؤه-: ﴿فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم﴾».

ثم قال بجواز دخول القولين تحت عموم الآية، فقال: «إلا أنّ الذين لم يرعَوها حقّ رعايتها ممكن أن يكون كانوا على عهد الذين ابتدعوها، وممكن أن يكونوا كانوا بعدهم؛ لأنّ الذين هم من أبنائهم إذا لم يكونوا رعَوها، فجائز في كلام العرب أن يقال: لم يَرْعها القوم على العموم، والمراد منهم البعض الحاضر».

كما قال تعالى: وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ [المائدة: 14].

وقال سُبحانَه: قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ [المائدة: 59].

سورةُ الحَديدِ

الآيتان (28–29)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ
بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (28) لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ
فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ(29))

غريب الكلمات:

كِفْلَيْنِ: أي: ضِعْفَينِ ونَصيبَينِ وحَظَّينِ، ويُستَعمَلُ الكِفلُ في النَّصيبِ مِنَ الخَيرِ والشَّرِّ، وأصلُ (كفل): يدُلُّ على تضَمُّنِ شَيءٍ لِشَيءٍ.

تفسير الآيتين:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (28).

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ.

أي: يا أيُّها الَّذين آمَنوا اتَّقُوا اللهَ بامتِثالِ أمْرِه واجتِنابِ نَهْيِه، وحَقِّقوا الإيمانَ برَسولِه مُحمَّدٍ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، واثبُتوا عليه.(44)

كما قال تعالى: أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ... [النساء: 136].

يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ.

---

(44) اختُلف في المعني بالخطاب بهذه الآية على قولين: الأول: أنهم أهل الكتاب.

الثاني: المؤمنون من أمة محمد.

وعلَّق ابنُ عطية (٨/ ٢٤١) على القول الأول الذي قاله ابن عباس، والضَّحّاك، بقوله: «فالمعنى: يا أيها الذين آمنوا بعيسى، اتقوا الله، وآمِنوا بمحمد».

ثم قال: «ويؤيد هذا المعنى الحديث الصحيح عن النبي – ﷺ –».

وساق حديث أبي موسى المذكور في الآثار المتعلقة بالآية.

وعلَّق على القول الثاني الذي قاله مقاتل، وسعيد بن جُبَير –كما في نزول الآية– بقوله: «أي: اثبتوا على ذلك، ودوموا عليه، وهذا هو معنى الأمر أبدًا لمن هو متلبس بما يؤمر به».

وذكر ابنُ كثير (١٣/ ٤٣٩) أن ما جاء بالحديث [حديث ابن عمر في الآثار المتعلقة بالآية] يؤيد القول الثاني.

أي: يُؤتِكم اللهُ نَصيبَينِ كَبيرَينِ مِن رحمتِه.

كما قال تعالى: الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ * أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا [القصص: 52 – 54].

وعن أبي موسى الأشعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عنه، أنَّ رَسولَ اللهِ – ﷺ – قال: ((ثَلاثةٌ يُؤتَونَ أجْرَهم مَرَّتَينِ: رجُلٌ مِن أهلِ الكِتابِ آمَنَ بنَبِيِّه، وأدرك النَّبيَّ – ﷺ –، فآمَنَ به واتَّبَعه وصَدَّقَه؛ فله أجْرانِ...)).[45]

وعن أبي موسى الأشعريِّ رَضِيَ اللهُ عنه، عن النَّبيِّ – ﷺ –، قال: ((مَثَلُ المُسلِمينَ واليَهودِ والنَّصارى كَمَثَلِ رَجُلٍ استأجَرَ قَومًا يَعمَلونَ له عَمَلًا يومًا إلى اللَّيلِ، على أجرٍ مَعلومٍ، فعَمِلوا له إلى نِصفِ النَّهارِ، فقالوا: لا حاجةَ لنا إلى أجْرِك الَّذي شرَطْتَ لنا، وما عَمِلْنا باطِلٌ! فقال لهم: لا تَفعَلوا، أكمِلوا بَقيَّةَ عَمَلِكم، وخُذوا أجرَكم كامِلًا، فأبَوا، وترَكوا! واستأجَرَ أجيرَينِ بَعْدَهم، فقال لهما: أكمِلا بَقيَّةَ يَومِكما هذا، ولَكما الَّذي شرَطْتُ لهم مِنَ الأجرِ، فعَمِلوا حتَّى إذا كان حينُ صَلاةِ العَصرِ، قالا: لك ما عَمِلْنا باطِلٌ! ولك الأجرُ الَّذي جعَلْتَ لنا فيه، فقال لهما: أكمِلا بَقيَّةَ عَمَلِكما، ما بَقِيَ مِنَ النَّهارِ شَيءٌ يَسيرٌ، فأبَيَا! واستأجَرَ قَومًا أن يَعمَلوا له بَقيَّةَ يَومِهم، فعَمِلوا بَقيَّةَ يَومِهم حتَّى غابت الشَّمسُ، واستَكمَلوا أجرَ الفَريقَينِ كِلَيهما! فذلك مَثَلُهم ومَثَلُ ما قَبِلوا مِن هذا النُّورِ!)).[46]

---

(45) رواه البخاري (97)، ومسلم (154) واللَّفظُ له.

(46) رواه البخاري (2271).

وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ.

أي: ويَجْعَلِ اللهُ لكم نُورًا بالقُرآنِ واتِّباعِ النَّبيِّ – ﷺ –، تَهتَدونَ به في الحياةِ الدُّنيا.(47)

وَيَغْفِرْ لَكُمْ.

أي: ويَستُرِ اللهُ لكم ذُنوبَكم، ويَتجاوَزْ عن مُؤاخَذتِكم.

وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ.

أي: واللهُ هو البالِغُ المَغفِرةِ والرَّحمةِ لِعبادِه.

كما قال تعالى: وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ [الرعد: 6].

لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (29).

لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ.

---

(47) اختُلف في المراد بـ «النور» على قولين: الأول: القرآن.

الثاني: الهدى.

وجمع ابنُ جرير (٢٢/ ٤٤٢) بين القولين، فقال: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إنّ الله –تعالى ذكره– وعد هؤلاء القوم أن يجعل لهم نورًا يمشون به، والقرآن مع اتباع رسول الله – ﷺ – نور لِمَن آمن بهما وصدقهما وهدى؛ لأنّ مَن آمن بذلك فقد اهتدى».

وذكر ابنُ عطية (٨/ ٢٤١ – ٢٤٢) أن «النور» هنا: إمّا أن يكون وعدًا بالنور الذي يسعى بين الأيدي يوم القيامة، وإما أن يكون استعارة للهدى الذي يُمشى به في طاعة الله.

أي: يُؤتِكم اللهُ تعالى هذا الثَّوابَ إنِ اتَّقَيتُموه وآمَنتُم برَسولِه؛ لِكَي يَعلَمَ اليَهودُ والنَّصارى أنَّهم لا يَقدِرونَ على شَيءٍ مِن فَضلِ اللهِ الَّذي يُريدُه للمُسلِمينَ؛ مِن تَضعيفِ الأجْرِ، والنُّورِ، والمَغفِرةِ، فلا يَملِكونَ مَنْعَه أو إعطاءَه.

وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ.

أي: ولِكَي يَعلَمَ أهلُ الكِتابِ أنَّ كُلَّ الفَضلِ بيَدِ اللهِ وَحْدَه، فيُعطي فَضلَه مَن يَشاءُ مِن عِبادِه وَفْقَ حِكمتِه سُبحانَه.

كما قال تعالى: وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ [يونس: 107].

وعن عبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنهما، أنَّه سَمِع رَسولَ اللهِ – ﷺ – يقولُ: ((إنَّما بقاؤُكم فيما سَلَف قَبْلَكم مِن الأُمَمِ كما بيْنَ صَلاةِ العَصرِ إلى غُروبِ الشَّمسِ، أُوتِيَ أهلُ التَّوراةِ التَّوراةَ، فعَمِلوا حتَّى إذا انتَصَف النَّهارُ عَجَزوا، فأُعطُوا قِيراطًا قِيراطًا،[48] ثمَّ أُوتِيَ أهلُ الإنجيلِ الإنجيلَ، فعَمِلوا إلى صَلاةِ العَصرِ، ثمَّ عَجَزوا، فأُعطُوا قِيراطًا قِيراطًا، ثمَّ أُوتِينا القُرآنَ، فعَمِلْنا إلى غُروبِ الشَّمسِ، فأُعطِينا قِيراطَينِ قِيراطَينِ، فقال أهلُ الكِتابَينِ: أيْ رَبَّنا أعطَيتَ هؤلاءِ قِيراطَينِ قِيراطَينِ، وأَعطَيتَنا قِيراطًا قِيراطًا، ونحنُ

---

(48) القيراط: المرادُ به النَّصيبُ، وهو في الأصل نِصفُ دانِقٍ، والدَّانِقُ سدسُ درهمٍ.
يُنظر: ((فتح الباري)) لابن حجر (446/4)، ((إرشاد الساري)) للقَسْطَلَّاني (498/1).

كُنَّا أكثَرَ عَمَلًا! قال: قال اللهُ عزَّ وجَلَّ: هل ظَلَمْتُكم مِن أَجرِكم مِن شَيءٍ؟ قالوا: لا، قال: فهو فَضْلي أُوتِيه مَن أشاءُ!)).(49)

وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ.

أي: واللهُ صاحِبُ الفَضلِ العَظيمِ، فيَتفضَّلُ على مَن يَشاءُ بما يَشاءُ مِن نِعَمِه الكثيرةِ العَظيمةِ.

كما قال تعالى: قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ [آل عمران: 73، 74].

---

(49) رواه البخاري (557).

سورةُ المُجادلةِ

سورةُ المُجادلةِ

سُمِّيَت هذه السُّورةُ بسُورةِ (المجادلةِ).[50]

سورةُ المجادلةِ مَدَنيَّةٌ،[51] وحكى الإجماعَ على ذلك غيرُ واحِدٍ مِنَ المفَسِّرينَ.[52]

---

(50) سُمِّيَت سورةَ المجادلةِ؛ لِقَولِه تعالى: تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا، وقد افتُتِحَت بقَضيَّةِ مجادَلةِ امرأةِ أَوسِ بنِ الصَّامِتِ لدى النَّبيِّ ﷺ – في شأنِ مُظاهَرةِ زَوجِها.

يُنظر: ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (1/456)، ((تفسير ابن عاشور)) (28/5).

قال الشهاب الخفاجي: (المجادلة: بفَتحِ الدَّالِ وكَسْرِها، والثَّاني هو المعروفُ...

وتُسمَّى سورةَ قَدْ سَمِعَ).

((حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي)) (8/164).

واختار ابن عاشور أنَّ كسرَ الدَّالِ أظهَرُ، قال: (لأنَّ السُّورةَ افتُتِحت بذِكرِ الَّتي تجادِلُ في زوجِها، فحقيقةٌ أن تُضافَ إلى صاحبةِ الجدالِ، وهي الَّتي ذكرها اللهُ بقَولِه: الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا [المجادلة: 1]...

وأمَّا فَتحُ الدَّالِ فهو مصدَرٌ مأخوذٌ مِن فِعلِ تُجادِلُكَ كما عَبَّرَ عنها بالتَّحاوُرِ في قَولِه تعالى: وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا [المجادلة: 1]).

((تفسير ابن عاشور)) (28/5).

(51) وقيل: قَولُه: مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ نزل بمكَّةَ، وقيل: العَشرُ الأُوَلُ منها مدنيَّةٌ، والباقي مكِّيٌّ. ولا دليلَ على ذلك.

يُنظر: ((تفسير الماوردي)) (5/487)، ((أحكام القرآن)) لابن الفرس (3/521).

(52) ممَّن نقل الإجماعَ على ذلك: ابنُ عطية، والقرطبيُّ، والفيروزابادي.

يُنظر: ((تفسير ابن عطية)) (5/246)، ((تفسير القرطبي)) (17/269)، ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (1/456).

مِن أهَمِّ مقاصِدِ السُّورةِ:

1- بيانُ حُكمِ الظِّهارِ، وإبْطالُ ما كان في الجاهِلِيَّةِ.

2- فَضحُ المنافِقينَ، وبَيانُ ضَلالاتِهم، وأقوالِهم الباطِلةِ، وأفعالِهم الذَّميمةِ.

3- ذِكرُ بَعضِ الآدابِ الَّتي يجِبُ على المؤمِنينَ أن يَتحَلَّوا بها.

مِن أهمِّ الموضوعاتِ الَّتي اشتَمَلَتْ عليها السُّورةُ:

1- الحديثُ عن المرأةِ الَّتي جادَلَت النَّبيَّ - ﷺ - في شأنِ زَوْجِها، وبيانُ حُكمِ الظِّهارِ وكَفَّارتِه.

2- ذِكرُ الَّذين يُحادُّونَ اللهَ ورَسولَه، وبيانُ سُوءِ عاقبتِهم.

3- تقريرُ سَعةِ عِلمِ اللهِ تعالى، وأنَّه لا يخفَى عليه شَيءٌ.

4- الكلامُ عن التَّناجي وما كان يَتناجى به أعداءُ الإسلامِ ويُحَيُّونَ به الرَّسولَ، وما يَنبغي أن يكونَ عليه تناجي المؤمِنينَ، وذِكرُ ما كان اللهُ تعالى شَرَعه للمؤمِنينَ قبْلَ مناجاتِهم للرَّسولِ.

5- بيانُ بَعضِ آدابِ المجالِسِ.

6- ذِكرُ بَعضِ صِفاتِ المنافِقينَ، ومُوالاتِهم لليَهودِ، وحَلِفِهم على الكَذِبِ، ونِسْيانِهم ذِكرَ اللهِ، وبيانُ سُوءِ عاقبتِهم.

7- خُتِمَت السُّورةُ بالثَّناءِ على المؤمِنينَ، وبيانِ صِفاتِهم الكريمةِ، وحُسْنِ عاقبتِهم.

سورةُ المُجادلةِ

الآيات (1-4)

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (1) الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ (2) وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (3) فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (4)

غَريبُ الكَلِماتِ:

تُجَادِلُكَ: أي: تُحاجِجُك وتُراجِعُك، والجِدالُ: المُفاوَضةُ على سَبيلِ المُنازَعةِ والمُغالَبةِ، وهو مِن بابِ استِحكامِ الشَّيءِ في استِرسالٍ يكونُ فيه، وامتِدادِ الخصومةِ، ومراجعةِ الكلامِ، وأصلُه مِن: جَدَلْتُ الحَبْلَ، أي: أحكَمْتُ فَتْلَه.

تَحَاوُرَكُمَا: أي: مُحاوَرتَكما ومُراجَعتَكما القَولَ، وأصلُ (حور) هنا: يدُلُّ على رُجوعٍ.

وَزُورًا: أي: كَذِبًا ومَيلًا عن طريقِ الحَقِّ، وأصلُ (زور): يدُلُّ على المَيَلِ والعُدولِ.

يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ: الظِّهارُ: قَولُ الرَّجُلِ لامرأتِه: أنتِ علَيَّ كظَهرِ أمِّي، وهي كَلِمةٌ كانوا يقولونَها يُريدونَ بها الفِراقَ، يُقالُ: ظاهَرَ الرَّجُلُ مِن امرأتِه ظِهارًا، وتَظَهَّر، وتَظاهَر، إذا قال لها ذلك. وأصلُ (ظهر): يدُلُّ على قوَّةٍ وبُروزٍ.

يَتَمَاسَّا: كنايةٌ عن الجِماعِ، وأصلُ (مسس): يدُلُّ على جَسِّ الشَّيءِ باليَدِ.

تَفسيرُ الآياتِ:

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (1).

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا.

سَبَبُ النُّزولِ:

عن عائِشةَ رَضِيَ اللهُ عنها، قالت: ((الحَمدُ لله الَّذي وَسِعَ سَمعُه الأصواتَ، لقد جاءت خَوْلةُ إلى رَسولِ اللهِ - ﷺ - تَشكو زَوجَها، فكان يَخفَى علَيَّ كلامُها، فأنزَل اللهُ عزَّ وجَلَّ: قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا الآية)).[53]

---

(53) أخرجه البخاريُّ مُعَلَّقًا بصيغةِ الجزمِ مختصَرًا قبل حديث (7386)، وأخرجه موصولًا النسائيُّ (3460) واللَّفظُ له، وابنُ ماجه (188)، وأحمدُ (24195).

صحَّحه ابنُ عساكر في ((معجم الشيوخ)) (1/163)، وابنُ حجر في ((تغليق التعليق)) (5/ 339)، والألبانيُّ في ((صحيح سنن النسائي)) (3460)، وقال ابنُ تيميَّةَ في ((تلبيس الجهمية)) (1/280): (إسناده ثابتٌ).

وصحَّح إسنادَه على شرطِ مسلمٍ شعيبٌ الأرناؤوط في تخريج ((مسند أحمد)) (40/228).

رجَّح ابنُ كثير (١٣/ ٤٤٤ بتصرف) -مستندًا للسياق- أنّ أثر خَوْلَة بنت ثَعْلَبة «هو الصحيح في سبب نزول صدر هذه السورة، فأما حديث سلمة بن صخر -الوارد في الآثار المتعلقة بالآيات- فليس فيه أنه كان سبب النزول، ولكن أُمِر بما أنزل الله في هذه السورة من العتق، أو الصيام، أو الإطعام.

وظاهر السياق أنّ قصة سلمة كانت بعد قصة أوْس بن الصّامت وزوجته خُوَيلَة بنت ثَعْلَبة، كما دلّ عليه سياق تلك وهذه بعد التأمل».

اختُلف في اسم ونسب التي كانت تجادل رسول الله في زوجها على أقوال: الأول: خَوْلَة بنت ثَعْلَبة.

الثاني: خَوْلَة بنت خُوَيلد.

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا.

أي: قد سَمِعَ اللهُ قولَ المرأةِ الَّتي تُحاوِرُك وتُراجِعُك –يا محمَّدُ– في شأنِ زَوجِها الَّذي ظاهَرَ منها قائِلًا لها: أنتِ علَيَّ كظَهرِ أُمِّي، فتُجادِلُك خوفًا مِن وُقوعِ الطَّلاقِ عليها، وخَشيةً مِن فِراقِ زَوجِها بذلك الظِّهارِ.

وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ.

أي: وتَشتَكي تلك المُجادِلةُ إلى اللهِ تعالى ما لَدَيها مِنَ الهَمِّ والضُّرِّ بظِهارِ زَوجِها منها، وتَسألُه الفَرَجَ.

وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا.

أي: واللهُ يَسمَعُ تَخاطُبَكما ومُراجَعتَكما الكلامَ فيما بَيْنَكما.

إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ.

أي: إنَّ اللهَ له كَمالُ السَّمعِ والبَصَرِ، فأحاط سَمْعُه وبَصَرُه بكُلِّ شَيءٍ، فلا تخفَى عليه خافيةٌ.

الثالث: خَوْلَة بنت الدُّلَيْج.

الرابع: خَوْلَة بنت الصّامت: الخامس: خُوَيلَة –بالتصغير–.

وذكر ابنُ كثير (١٣/ ٤٤٤) القول الأول والأخير، وزاد قولًا آخر: أنها خَوْلَة بنت مالك بن ثَعْلَبة.

وعلَّق على الثلاثة بقوله: «ولا منافاة بين هذه الأقوال؛ فالأمر فيها قريب».

الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ (2).

الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ.

أي: الَّذين يُحرّمونَ منكم زَوجاتِهم على أنفُسِهم بتَشبيهِهنَّ بظُهورِ أُمَّهاتِهم، فيقولونَ لهنَّ: أنتُنَّ علينا كظُهورِ أمَّهاتِنا؛ ما نِساؤُهم اللَّائي يُظاهِرونَ مِنهنَّ بأمَّهاتِهم؛ فيقولوا لهنَّ: أنتُنَّ علينا كظَهرِ أمَّهاتِنا، بل هنَّ لهم حلالٌ.

كما قال الله تبارك وتعالى: وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ [الأحزاب: 4].

إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ.

أي: ما أُمَّهاتُهم في الحقيقةِ إلَّا اللَّاتي ولَدْنَهم، لا زَوجاتُهم اللَّاتي ظاهَروا مِنهُنَّ.

وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا.

أي: وإنَّ المُظاهِرينَ مِن نِسائِهم لَيَقولونَ بظِهارِهم هذا قولًا شَنيعًا لا يُعرَفُ في الشَّرعِ، وكَذِبًا لا حقيقةَ له، ولا وجودَ له في الواقِعِ!

وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ.

أي: وإنَّ اللهَ لَبالِغُ العَفوِ عن ذُنوبِ عِبادِه –فيَتجاوَزُ عنها، ولا يُعاقِبُهم بها–، بالِغُ المَغفرةِ لهم فيَمحو عَيْنَها وأثَرَها، ويَستُرُها عليهم.

وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (3).

وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا.

أي: والَّذين يُحرِّمونَ نِساءَهم على أنفُسِهم بالظِّهارِ، ثمَّ يَعودونَ لِما قالوا.(54)

---

(54) اختُلف في معنى العَوْد لِما قال المُظاهر في هذه الآية على قولين: الأول: أنّ المظاهر يعود إلى تحليل ما حرَّم على نفسه من وطء الزوجة بالعزم على الوطء.

الثاني: أنّ العَوْد لِما قال هو إمساكه إيّاها، وتَرْكُه فِراقَها بعد تظهُّره منها، سواء عزم على الوطء أم لم يَعزِم.

ونقل ابنُ جرير (٢٢/ ٤٥٩) عن أهل العربية معنيين آخرَين: أحدهما: أنّ «المعنى: فتحرير رقبة من قبل أن يتماسّا، فمن لم يجد فصيامٌ، فإطعامُ ستين مسكينًا، ثم يعودون لما قالوا: إنا لا نفعله، فيفعلونه...».

ثم وجّهه بقوله: «وكأن قائل هذا القول كان يرى أنّ هذا من المُقدّم الذي معناه التأخير».

والآخر: أنه «يصلح فيها في العربية: ثم يعودون إلى ما قالوا، وفيما قالوا.

يريد: يرجعون عمّا قالوا».

ورجّح ابنُ جرير (٢٢/ ٤٦٠) مستندًا إلى اللغة «أن يُقال: معنى اللام في قوله: ﴿لِما قالُوا﴾ بمعنى» إلى «أو» في «؛ لأنّ معنى الكلام: ثم يعودون لنقْض ما قالوا من التحريم فيحلّلونه.

وإن قيل: معناه: ثم يعودون إلى تحليل ما حرَّموا، أو: في تحليل ما حرَّموا، فصوابٌ؛ لأن كل ذلك عَوْدٌ له».

ونقل ابنُ عطية (٨/ ٢٤٦) قولين آخرين: أحدهما: أنّ «المعنى: والذين يظاهَرون من نسائهم في الجاهلية».

ثم وجَّهه بقوله: «كأنه تعالى قال: والذين كان الظِّهار عادتهم ثم يعودون إلى ذلك في الإسلام».

والآخر: أنّ «المعنى: والذين يُظاهِرون ثم يُظاهِرون ثانية، فلا تلزم عندهم كفارة إلا بأن يعيد الرجل التظاهُر».

فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا.

أي: فعليهم عِتقُ رَقبةٍ كامِلةٍ مِن قَبلِ أن يَقَعَ بيْنَ الزَّوجَينِ جِماعٌ.

ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ.

أي: وَجَب عليكم ذلك العِتقُ؛ مَوعِظةً لكم؛ لِتَنتَهوا عن الظِّهارِ، وتَنزَجِروا عن الوُقوعِ فيه ثانيةً.

وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ.

أي: واللهُ بجَميعِ ما تَعمَلونَه مِن هذا التَّكفيرِ وغيرِه ذو خِبرةٍ بالِغةٍ تامَّةٍ، فلا يَخفَى عليه شيءٌ، ويُجازي كلَّ عامِلٍ بعمَلِه.

فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (4).

ووجَّهه بقوله: «وحينئذ هو عائد إلى القول الذي هو منكر وزور».

ثم انتقده قائلًا: «وهذا قول ضعيف».

ونحوه قال ابنُ كثير (١٣/ ٤٤٨).

وانتقد ابنُ عطية –مستندًا إلى السياق– القول الذي حكاه ابنُ جرير بأنّ في الآية تقديمًا وتأخيرًا قائلًا: «وهذا أيضًا قول يُفسِد نظم الآية، وحُكي عن الأخفش، لكنه غير قوي».

فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا.

أي: فمَن لم يجِدْ رَقَبةً يُحرِّرُها -إمَّا لعَدَمِ وُجودِها، أو لعَدَمِ القُدرةِ على دَفعِ ثَمَنِها- وَجَبَ عليه صيامُ شَهرَينِ مُتتابِعَينِ بلا إفطارٍ بَيْنَهما، مِن قَبلِ أن يَقَعَ بيْنَ الزَّوجينِ جِماعٌ.

فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا.

أي: فمَن لم يَستَطِعْ صِيامَ شَهرَينِ مُتتابِعَينِ -لِمَرضٍ، أو لغيرِه مِنَ الأعذارِ- وَجَبَ عليه إطعامُ سِتِّينَ مِسكينًا.

ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ.

أي: هذا المفروضُ عليكم في كَفَّارةِ الظِّهارِ قد شَرَعْناه لكم؛ لِتُؤمِنوا باللهِ وبرَسولِه مُحمَّدٍ، فتَعمَلوا بحُكمِ اللهِ، وتَنتَهوا عمَّا حرَّم اللهُ.

وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ.

أي: وتلك الحدودُ الَّتي حدَّها اللهُ لكم، والفُروضُ الَّتي بيَّنها لكم: هي حُدودُ اللهِ؛ فلا تَتعَدَّوها ولا تَنتَهِكوها.

وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ.

أي: وللكافِرينَ باللهِ وبرَسولِه، التَّارِكينَ العَمَلَ بأحكامِ شَرعِه، والوُقوفَ عندَ حُدودِه: عذابٌ مُؤلِمٌ مُوجِعٌ.

سورةُ المُجادلةِ

الآيات (5–7)

إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ
وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ (5) يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ
وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (6) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا
يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا
أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ
(7)

غَرِيبُ الكَلِماتِ:

يُحَادُّونَ: أَي: يُخالِفونَ ويُحارِبونَ ويُعادُونَ، يُقالُ: حادَّ فُلانٌ فُلانًا، أي: صار في حَدٍّ غَيرِ حَدِّه. وأصلُ (حدد): يدُلُّ على طَرَفِ الشَّيءِ؛ وذلك لأنَّ المُحادَّ يكونُ فِي حَدٍّ، وَاللهُ ورَسولُه فِي حَدٍّ.

كُبِتُوا: أي: أُذِلُّوا وأُخْزُوا، يُقالُ: كَبَتَ اللهُ فُلانًا: إذا صَرَفَه وأذَلَّه. والمردودُ بالذُّلِّ يُقالُ له: مَكْبوتٌ، وأصلُ (كبت): يدُلُّ على الإذلالِ والصَّرفِ عن الشَّيءِ.

أَحْصَاهُ: أي: عدَّه عليهم، وأثبَتَه وحَفِظَه، وأصلُ (حصي): يدُلُّ على عَدٍّ وإطاقةٍ.

نَجْوَى: أي: سِرَارٍ ومُناجاةٍ، وأصلُ (نجو): يدُلُّ على سَترٍ وإخفاءٍ.

أَدْنَى: أي: أقَلَّ، وأصل الدُّنوِّ: القُرْبُ بالذَّاتِ أو بالحُكمِ، ويُستعمَلُ في المكانِ والزَّمانِ والمَنزِلةِ.

تَفسيرُ الآياتِ:

إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ (5).

إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ.

أي: إنَّ الَّذين يُخالِفونَ ويُعادُونَ اللهَ ورَسولَه، ويجعلون حدودًا غيرَ حدودِه؛ فإنَّهم يُرَدُّونَ عن مُبتَغاهم هذا بعُنفٍ وإذلالٍ وإغاظةٍ لهم، كما وقع للمُخالِفينَ اللهَ ورُسُلَه مِن قَبْلِهم.[55]

وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ.

أي: وقد أنزَلْنا آياتٍ واضِحاتٍ، ليس لأحَدٍ حُجَّةٌ أو عُذرٌ في مُخالفتِها، ولا يخالِفُها مِن بَعدِ ذلك سِوى مُكابِرٍ.

كما قال تعالى: وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ [البقرة: 99].

وقال سُبحانَه: بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ [العنكبوت: 49].

---

(55) نقل ابنُ عطية (٨/ ٢٤٨) عن قوم أنّ ﴿كُبِتُوا﴾ «أصلُه: كُبِدُوا، أي: أصابهم داءٌ في أكبادهم، فأُبدِلَت الدال تاءً». ثم انتقد ذلك قائلًا: «وهذا غير قويٍّ».

وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ.

أي: وللكافِرينَ عَذابٌ يُهينُهم ويُذِلُّهم في الآخِرةِ مُقابِلَ استِكبارِهم عن اتِّباعِ الحَقِّ، وتَرْكِ الخُضوعِ والانقيادِ إليه.

يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (6).

يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا.

أي: للكافِرينَ عَذابٌ مُهِينٌ في اليَومِ الَّذي يَبعَثُ اللهُ فيه الكافِرينَ جَميعًا، فيُخبِرُهم بما عَمِلوه في الدُّنيا.

أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ.

أي: أحصى اللهُ عليهم ما عَمِلوه، فعَدَّه وأثبَتَه وحَفِظَه، ونَسِيَه عامِلوه.

كما قال الله تعالى: وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا [الكهف: 49].

وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ.

أي: واللهُ مُطَّلِعٌ على كُلِّ شَيءٍ مِمَّا عمِلوه وغيرِه، ولا يخفَى عليه شَيءٌ، فهو سُبحانَه حاضِرٌ لا يَغيبُ، وحَفيظٌ رَقيبٌ.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (7).

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ.

أي: ألم ترَ –يا محمَّدُ– أنَّ اللهَ يَعلَمُ جَميعَ ما في السَّمَواتِ، وجميعَ ما في الأرضِ، فلا يخفَى عليه شَيءٌ مِن أقوالِ عِبادِه وأعمالِهم وسرائرِهم؟

كما قال الله تبارك وتعالى: إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ [آل عمران: 5].

مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ.

أي: لا يَتحَدَّثُ ثَلاثةٌ مِنَ النَّاسِ سِرًّا فيما بَيْنَهم إلَّا واللهُ تعالى رابِعُهم بعِلْمِه، يَسمَعُهم ويَراهم.(56)

---

(56) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٢٤٨) احتمالين في معنى: ﴿نجوى﴾: الأول: «أن يكون مصدرًا مضافًا إلى ﴿ثَلاثَةٍ﴾».
ثم وجَّهه بقوله: «كأنه تعالى قال: من سرار ثلاثة».
والثاني: «أن يكون المراد به جمعًا من الناس سمي بالمصدر».
ثم وجَّهه بقوله: «كما قال تعالى في آية أخرى: ﴿وإِذْ هُمْ نَجْوى﴾ [الإسراء: ٤٧]، أي: أولو نجوى، فيكون قوله تعالى: ﴿ثلاثة﴾ –على هذا– بدلًا من ﴿نجوى﴾».
غير أنه علّق قائلًا: «وفي هذا نظر».

وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ.

أي: ولا يَتحدَّثُ خَمسةٌ مِنَ النَّاسِ سِرًّا فيما بَيْنَهم إلَّا واللهُ تعالى سادِسُهم بعِلْمِه، يَسمَعُهم ويَراهم.

كما قال تعالى: أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ [التوبة: 78].

وقال سُبحانَه: أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ [الزخرف: 80].

وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا.

أي: ولا يَتحدَّثُ سِرًّا أقَلُّ مِن ثلاثةٍ أو أكثَرُ مِن خَمسةٍ إلَّا واللهُ تعالى معهم بعِلْمِه، يَسمَعُهم ويَراهم في أيِّ مَوضِعٍ كانوا فيه.

عن أبي موسى الأَشعريِّ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((كُنَّا مع رَسولِ اللهِ - ﷺ -، فكُنَّا إذا أشرَفْنا[57] على وادٍ هَلَّلْنا وكَبَّرْنا، ارتَفَعَت أصواتُنا، فقال النَّبيُّ - ﷺ -: يا أيُّها النَّاسُ، ارْبَعُوا[58] على أنفُسِكم؛ فإنَّكم لا تَدْعُونَ أصَمَّ ولا غائِبًا، إنَّه معكم، إنَّه سَميعٌ قَريبٌ)).[59]

---

(57) أشرَفْنا: أي اطَّلعنا.

يُنظر: ((إرشاد الساري)) للقَسْطَلَّاني (5/135).

(58) ارْبَعُوا: أي: ارفُقُوا بأنفُسِكم، واخفِضُوا أصواتَكم.

يُنظر: ((شرح النووي على مسلم)) (17/26).

(59) رواه البخاريُّ (2992) واللَّفظُ له، ومسلمٌ (2704).

ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

أي: ثمَّ يُخبِرُ اللهُ يومَ القيامةِ أولئك المُتناجِينَ بما عَمِلوه في الدُّنيا.

كما قال تعالى: وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا [الكهف: 49].

وقال الله سُبحانَه: وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [النور: 64].

إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ.

أي: إنَّ اللهَ ذو عِلمٍ بالِغٍ تامٍّ بكُلِّ شَيءٍ، ومِن ذلك عِلمُه الكامِلُ بأقوالِ خَلْقِه وأفعالِهم، وضَمائِرِهم وأحوالِهم، لا يخفَى عليه شَيءٌ مِن ذلك سُبحانَه.

سورةُ المُجادلةِ

الآيات (8–10)

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ
وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا
اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ (8) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ
فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ
تُحْشَرُونَ (9) إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ
اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (10)

غَرِيبُ الكَلِماتِ:

يَصْلَوْنَهَا: أي: يَدخُلونَها ويُقاسُونَ حَرَّها وشِدَّتَها، وأصلُ (صلي): يدُلُّ على الإيقادِ بالنَّارِ.

بِالْإِثْمِ: الإثمُ والأثامُ: اسمٌ للأفعالِ المُبَطِّئةِ عن الثَّوابِ، أو الذَّنْبُ الَّذي يَستحِقُّ العقوبةَ عليه، أو الفعلُ الَّذي يستحقُّ عليه اللَّومَ، وأصلُ (أثم): يدُلُّ على البُطءِ والتَّأخُّرِ، والإثمُ مُشتَقٌّ مِن ذلك؛ لأنَّ ذا الإثمِ بَطيءٌ عن الخَيرِ، متأخِّرٌ عنه.

وَالْعُدْوَانِ: أي: التَّعدِّي والظُّلْمِ، والعُدوانُ أصْلُه الظُّلْمُ، وأصلُ (عدو): يدُلُّ على تَجاوُزٍ في الشَّيءِ.

بِالْبِرِّ: البِرُّ هو اسمٌ جامعٌ لكلِّ خَيرٍ وطاعةٍ، وقيامٍ بحقِّ الله ولعِبادِه، وأصلُ (برر) هنا: الصِّدْقُ، ومِن ذلك قولُهم: يَبَرُّ رَبَّه، أيْ: يُطيعُه، وهو مِن الصِّدْقِ.

وَالتَّقْوَى: أي: أداءِ مَا كَلَّفكم مِن فَرائِضِه واجْتِنابِ مَعاصيه، أو: التَّقْوى هنا: اسمٌ جامعٌ لتركِ جميعِ المَحارِمِ والمآثِمِ، وأصل (وقى): يدُلُّ على دَفْعِ شَيءٍ عن شيءٍ بغيرِه.

تَفسيرُ الآياتِ:

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ (8).

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ.

أي: ألم تَرَ –يا محمَّدُ– إلى الَّذين نهاهم اللهُ تعالى عن إسرارِ الحديثِ فيما بَيْنَهم بالشَّرِّ، ثمَّ يرجِعون إلى ما نهاهم اللهُ عنه مِنَ التَّناجي بالشَّرِّ.

وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ.

أي: ويُوصي بَعضُهم بعضًا سرًّا فيما بيْنَهم بالإثمِ والعُدوانِ ومَعصيةِ الرَّسولِ محمَّدٍ – ﷺ –ومخالَفتِه؟

وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ.

سَبَبُ النُّزولِ:

عن عائِشةَ رَضِيَ اللهُ عنها، قالت: ((أتَى النَّبيَّ - ﷺ - أُناسٌ مِنَ اليهودِ، فقالوا: السَّامُ عليك يا أبا القاسِمِ. قال: وعَلَيكم، قالت عائِشةُ: قُلْتُ: بل عليكم السَّامُ والذَّامُ![60] فقال رَسولُ اللهِ - ﷺ - : يا عائِشةُ، لا تَكوني فاحِشةً، فقالت: ما سَمِعْتَ ما قالوا؟! فقال: أوَلَيس قد ردَدْتُ عليهم الَّذي قالوا، قُلْتُ: وعليكم؟ فأنزل اللهُ عزَّ وجلَّ: وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ إلى آخِرِ الآيةِ)).[61]

وعن عَبدِ اللهِ بنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عنهما: (أنَّ اليهودَ كانوا يقولونَ لِرَسولِ اللهِ - ﷺ -: سامٌ عليك! ثمَّ يقولونَ في أنفُسِهم: لولا يُعَذِّبُنا اللهُ بما نَقولُ! فنزلَتْ هذه الآيةُ: وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ إلى آخِرِ الآيةِ).[62]

وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ.

أي: وإذا جاءك هؤلاء القَومُ -يا محمَّدُ- حيَّوك بغيرِ السَّلامِ الَّذي حَيَّاك به اللهُ تعالى.

---

(60) السَّامُ: المَوتُ.
والذَّامُ: العَيبُ والذَّمُّ.
يُنظَر: ((مختار الصحاح)) للرازي (ص: 114، 158).

(61) رواه مسلم (2165).

(62) أخرجه أحمدُ (6589) واللَّفظُ له، والطَّبَرانيُّ (564/13) (14462)، والبيهقيُّ في ((شُعَب الإيمان)) (8679).
حسَّن إسنادَه ابنُ كثير في ((تفسير القرآن)) (69/8)، وجوَّد إسنادَه الهَيْثَميُّ في ((مجمع الزوائد)) (124/7)، وصَحَّح إسنادَه أحمد شاكر في تخريج ((مسند أحمد)) (95/10)، وصحَّح الحديثَ شعيبٌ الأرناؤوط في تخريج ((مسند أحمد)) (160/11).

كما قال تعالى: فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً [النور: 61].

وعن عائِشةَ رَضِيَ اللهُ عنها، قالت: ((أتَى النَّبيَّ - ﷺ - أُناسٌ مِنَ اليهودِ، فقالوا: السَّامُ عليك يا أبا القاسِمِ. قال: وعَلَيكم، قالت عائشةُ: قُلْتُ: بل عليكم السَّامُ والذَّامُ! فقال رَسولُ اللهِ - ﷺ -: يا عائشةُ، لا تَكوني فاحِشةً، فقالت: ما سَمِعْتَ ما قالوا؟! فقال: أوَلَيس قد رددْتُ عليهم الَّذي قالوا، قُلْتُ: وعليكم؟)).(63)

وعن أنسِ بنِ مالِكٍ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((مرَّ يهوديٌّ برَسولِ اللهِ - ﷺ -، فقال: السَّامُ عليك، فقال رَسولُ اللهِ - ﷺ -: وعليكَ. فقال رَسولُ الله - ﷺ -: أتدرونَ ما يقولُ؟ قال: السَّامُ عليك. قالوا: يا رَسولَ اللهِ، ألا نَقتُلُه؟ قال: لا، إذا سلَّم عليكم أهلُ الكِتابِ فقولوا: وعليكم)).(64)

وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ.

أي: ويقولون سِرًّا: هلَّا يُعَذِّبُنا اللهُ فيُعَجِّلَ لنا العُقوبةَ في الدُّنيا؛ بسَبَبِ ما نَقولُه لمحَمَّدٍ؟

حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا.

أي: يكفي هؤلاء عِقابًا لهم على ما يقولونَه: جَهنَّمُ، يَدخُلونَها في الآخِرةِ، ويُقاسُونَ عَذابَها.

(63) رواه البخاريُّ (6024)، ومسلمٌ (2165) واللَّفظُ له.

(64) رواه البخاري (6926) واللفظ له، ومسلم (2163).

فَبِئْسَ الْمَصِيرُ.

أي: فبِئسَ المرجِعُ والمُنقَلَبُ جهنَّمُ.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (9).

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ.

أي: يا أيُّها الَّذين آمَنوا إذا تسارَرْتُم فيما بيْنَكم، فلا تَتحدَّثوا بالإثمِ والعُدوانِ ومُخالَفةِ الرَّسولِ محمَّدٍ – ﷺ –.

وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى.

أي: وتَسارُّوا الحديثَ فيما بيْنَكم بفِعلِ الخَيراتِ، واجتِنابِ المحَرَّماتِ.

كما قال تعالى: لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا [النساء: 114].

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ.

أي: واجعَلوا بيْنَكم وبيْنَ سَخَطِ اللهِ وعذابِه وقايةً بامتِثالِ أوامِرِه واجتِنابِ نواهيه؛ فهو الَّذي إليه تُجمَعونَ فيُجازيكم على أقوالِكم وأعمالِكم.

إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (10).

إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا.

أي: إنَّما المُناجاةُ الَّتي نَهَى الله عنها مِن تزيينِ الشَّيطانِ للمُتناجِينَ مِن أجْلِ أن يُوقِعَ الحُزنَ في قُلوبِ المؤمِنينَ.(65)

عن عبدِ اللهِ بنِ مَسعودٍ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: قال رَسولُ الله – ﷺ –: ((إذا كُنتُم ثلاثةً، فلا يَتناجى اثنانِ دونَ صاحِبِهما؛ فإنَّ ذلك يَحزُنُه)).(66)

---

(65) اختُلف في النّجوى التي أخبر الله أنها من الشيطان، ما هي؟ على أقوال: الأول: مناجاة المنافقين بعضهم بعضًا.
الثاني: أنّ الإشارة إلى نجوى قوم من المسلمين كانوا يقصدون مناجاة رسول الله – ﷺ –، وليس لهم حاجة ولا ضرورة إلى ذلك، وإنما كانوا يريدون التنجح بذلك، وكان إبليس يوسوس للمسلمين أنّ تلك النجوى في إخبارٍ بعَدُوٍّ قاصدٍ ونحوه.
الثالث: الأحلام التي يراها الإنسان في منامه فتحزنه.
ورجَّح ابنُ جرير (٢٢/ ٤٧٥) –مستندًا إلى السياق– القول الأول، وهو قول قتادة، وعلَّل ذلك بأنّ «الله –جلّ ثناؤه– تقدّم بالنهي عنها بقوله: ﴿إذا تَناجَيْتُمْ فَلا تَتَناجَوْا بِالإثْمِ والعُدْوانِ ومَعْصِيَةِ الرَّسُولِ﴾ [المجادلة: ٩]، ثم عمّا في ذلك من المكروه على أهل الإيمان، وعن سبب نهيه إيّاهم عنه، فقال: ﴿إنَّما النَّجْوى مِنَ الشَّيْطانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فبيّنٌ بذلك إذ كان النهي عن رؤية المرء في منامه كان كذلك، وكان عَقِيبَ نهيه عن النجوى بصفةٍ أنه من صفة ما نهى عنه».
ونقل ابنُ عطية (٨/ ٢٥٠) أولًا عن جماعة من المفسرين أنّ المعنى: «إنما النجوى في الإثم والعدوان ومعصية الرسول من الشيطان».
ثم ذكر القولين الأول والثاني، ثم علّق (٨/ ٢٥١) عليهما بقوله: «وهذان القولان يعضدهما ما يأتي من ألفاظ الآية، ولا يعضد القول الأول».
وانتقد القول الثالث –مستندًا إلى السياق– قائلًا: «وهذا قول أجنبيٌّ مِن المعنى الذي قبله والذي بعده».
(66) رواه البخاريُّ (6290)، ومسلمٌ (2184) واللَّفظُ له.

وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ.

أي: وليس الشَّيطانُ بضَارِّ المؤمنينَ بأيِّ ضَرَرٍ إلَّا بقضاءِ اللهِ وقَدَرِه؛ فإنَّ اللهَ يَكفيهم شَرَّ أعدائِهم ومَكْرِهم.

كما قال تعالى: إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا [الحج: 38].

وقال سُبحانَه: وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ [فاطر: 43].

وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ.

أي: وعلى اللهِ وَحْدَه فلْيَعتَمِدِ المؤمنونَ ويَثِقوا به؛ فإنَّ مَن توكَّلَ على اللهِ كفاه.

كما قال تعالى: قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ * قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ [التوبة: 51، 52].

سورةُ المُجادلةِ

الآيات (11-13)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ
انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
خَبِيرٌ (11) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ
خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (12) أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ
نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ
وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (13)

غَرِيبُ الكَلِماتِ:

تَفَسَّحُوا: أي: توسَّعُوا، وأصلُ (فسح): يدُلُّ على سَعةٍ واتِّساعٍ.

انْشُزُوا: أي: قُومُوا وارتَفِعوا عن أماكِنِكم، وأصلُ (نشز): يدُلُّ على ارتِفاعٍ وعُلُوٍّ.

أَأَشْفَقْتُمْ: أي: أخِفتُم وخَشِيتُم، والإشْفاقُ: الخَوفُ والحَذَرُ مِن وُقوعِ المكروهِ، والشَّفَقةُ: رِقَّةُ القَلبِ، وأصلُ (شفق): يدُلُّ على رِقَّةٍ في الشَّيءِ.

تَفسيرُ الآياتِ:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (11).

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ.

أي: يا أيُّها الَّذين آمَنوا إذا قيلَ لكم: توَسَّعوا في المجالِسِ لِيَجلِسَ آخَرون معكم، فوَسِّعوا لهم؛ فإنَّكم إن فعَلْتُم ذلك يُوسِّعِ اللهُ عليكم في الدُّنيا والآخِرةِ.(67)

---

(67) اختُلف في المجلس الذي أمر الله المؤمنين بالتَّفسُّح فيه على أقوال: الأول: أنه مجلس رسول الله – ﷺ –.

الثاني: أنه مجالس القتال إذا اصطَفُّوا للحرب.

الثالث: أن رسول الله – ﷺ – أقام قومًا ليُجْلِس أشياخًا من أهل بدر؛ فنَزَلَتْ الآية.

الرابع: أنها مجالس الذكر.

ورجَّح ابنُ جرير (٢٢/ ٤٧٨) العموم، فقال: «إنّ الله –تعالى ذِكْرُه– أمر المؤمنين أن يتفسَّحوا في المجلس، ولم يَخْصُص بذلك مجلس النبي – ﷺ – دون مجلس القتال، وكلا الموضعين يقال له: مجلسٌ، فذلك على جميع المجالس من مجالس رسول الله – ﷺ – ومجالس القتال».

ونقل ابنُ عطية (٨/ ٢٥٢) عن بعض الناس: أنّ «الآية مخصوصة في مجلس النبي – ﷺ –، وليس في سائر المجالس».

وذكر أنه يدل على ذلك قراءة مَن قرأ: «فِي المَجْلِسِ»، وأما من قرأ: ﴿في المجالس﴾ فذلك مرادٌ أيضًا؛ لأنّ لكل أحد مجلسًا في بيت النبي – ﷺ – وموضعه فتجمع لذلك ».

ونقل عن الجمهور من أهل العلم: أنّ» السبب مجلس النبي – ﷺ –، والحكم مطَّردٌ في سائر المجالس التي هي للطاعات، وعلَّق بقوله: «ومنه قول النبي – ﷺ –: «أحبُّكم إلى الله ألْيَنُكم مناكب في الصلاة ورُكَبًا في المجالس»».

ثم علَّق عليه بقوله: «ويؤيد هذا القول قراءة مَن قرأ: ﴿في المجالس﴾، ومَن قرأ: «فِي المَجْلِسِ» فذلك –على هذا التأويل– اسم جنس».

عن عبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنهما، عن النَّبيِّ - ﷺ -: ((أنَّه نَهَى أن يُقامَ الرَّجُلُ مِن مَجلِسِه، ويَجلِسَ فيه آخَرُ، ولكِنْ تَفَسَّحوا وتوسَّعوا))، وكان ابنُ عُمَرَ يَكرَهُ أن يقومَ الرَّجُلُ مِن مجلِسِه ثمَّ يَجلِسَ مَكانَه.(68)

وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا.

أي: وإذا قيل لكم: قُوموا وانهَضوا مِن المجلِسِ، فافعَلوا ذلك.(69)

يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ.

أي: يَرفَعِ اللهُ المؤمِنينَ منكم والعُلَماءَ العامِلينَ بعِلْمِهم دَرَجاتٍ عاليةً.(70)

---

(68) رواه البخاريُّ (6270) واللَّفظُ له، ومسلمٌ (2177).

(69) اختُلف في معنى النشوز الذي أُمِروا بامتثاله على أقوال: الأول: أن المعنى: إذا دُعوا إلى قتال أو طاعة أو عمل خير. الثاني: إذا دُعوا إلى القيام عن النبي - ﷺ -.

ورجَّح ابنُ جرير (٢٢/ ٤٧٩ - ٤٨٠) العموم، وأنّ معنى قوله تعالى: ﴿وإذا قِيلَ انْشُزُوا فانْشُزُوا﴾ أي: «ارتفِعوا، والمراد: وإذا قيل لكم: قوموا إلى قتال عدو، أو صلاة، أو عمل خير، أو تفرّقوا عن رسول الله - ﷺ -، فقوموا»، وعلَّل ذلك بقوله: «وإنما اخترتُ التأويل الذي قلتُ في ذلك؛ لأنّ الله - عز وجل - أمر المؤمنين إذا قيل لهم: انشُزوا، أن ينشزوا، فعمّ بذلك الأمر جميع معاني النشوز من الخيرات، فذلك على عمومه حتى يخصه ما يجب التسليم له».

ونقل ابنُ عطية (٨/ ٢٥٣) عن قوم أن المعنى: «انشزوا في المجلس، بمعنى: التَّفَسُّح».

ثم وجَّهه بقوله: «لأنّ الذي يريد التوسع يرتفع إلى فوق في الهواء، فإذا فعل ذلك جملة اتسع الموضع، فيجيء ﴿انشُزُوا﴾ في غرض واحد مع قوله تعالى: ﴿تفَسَّحُوا﴾».

(70) نقل ابنُ عطية (٨/ ٢٥٣ - ٢٥٤) في معنى الآية ثلاثة أقوال: الأول: «المعنى: يرفع الله المؤمنين العلماء منكم درجات، فلذلك أمر بالتَّفَسُّح من أجلهم».

ثم وجَّهه بقوله: «ويجيء -على هذا- قوله تعالى: ﴿والذِينَ أُوتُوا العِلْمَ﴾ بمنزلة قولك: جاءني العاقل والكريم والشجاع، وأنت تريد رجلًا واحدًا».

كما قال تبارك وتعالى: نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ [يوسف: 76].

وعن عُمَرَ بنِ الخطَّابِ رَضِيَ اللهُ عنه، أنَّ النَّبيَّ - ﷺ - قال: ((إنَّ اللهَ يَرفَعُ بهذا الكِتابِ أقوامًا، ويَضَعُ به آخَرينَ)).[71]

وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ.

أي: واللهُ ذو خِبرةٍ بالِغةٍ تامَّةٍ، فلا تَخفَى عليه أعمالُ العِبادِ ونيَّاتُهم، فيَعلَمُ المُطيعَ مِن العاصي، ويَعلَمُ مَن يَستَحِقُّ رفْعَ الدَّرَجاتِ ومَن لا يَستَحِقُّ ذلك.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (12).

الثاني: «المعنى: يرفع اللهُ المؤمنين والعلماء الصنفين جميعًا درجات، لكنّا نعلم تفاضلهم في الدرجات من مواضع أخر، ولذلك جاء الأمر بالتَّفَسُّح عامًّا للعلماء وغيرهم».

الثالث: «عن ابن مسعود - رضي الله عنهما - وغيره أنّ المعنى: يرفع الله الذين آمنوا منكم. وتمَّ القول، ثم ابتدأ بتخصيص العلماء بالدرجات، ونصبهم بإضمار فعل».

ثم علَّق عليه بقوله: «فالمؤمنون رفع على هذا التأويل، وللعلماء درجات، وعلى هذا التأويل قال مطرِّف بن عبد الله بن الشـخِّير: فضل العلم أحب إليَّ من فضل العبادة، وخير دينكم الورع».

(71) رواه مسلم (817).

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً.

النَّاسِخُ والمَنسوخُ:

اتَّفق العُلَماءُ على أنَّ هذه الآيةَ مَنسوخةٌ بالآيةِ الَّتي تَليها.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً.

أي: يا أيُّها المؤمِنونَ إذا أردتُم أن تُسارُّوا محمَّدًا – ﷺ – بكلامٍ بَيْنَكم وبيْنَه، فتصَدَّقوا قبْلَ ذلك.

ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ.

أي: تقديمُ الصَّدَقةِ قبْلَ مُناجاةِ الرَّسولِ خيرٌ لكم –أيُّها المؤمِنونَ– مِن تَرْكِها، وأطهَرُ لقُلوبِكم.

فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ.

أي: فإنْ لم تَجِدوا صَدَقةً تُقَدِّمونَها قبْلَ مُناجاةِ الرَّسولِ، فلا حَرَجَ عليكم؛ لأنَّ اللهَ غفورٌ لذُنوبِ عِبادِه، رَحيمٌ بهم؛ فلا يَشُقُّ عليهم.

أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (13).

أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ.

أي: أخِفْتُم وخَشِيتُم الفَقْرَ؛ مِن تقديمِ الصَّدَقاتِ قبْلَ مُناجاةِ الرَّسولِ؟

فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ.

أي: فإذْ لم تُقَدِّموا تلك الصَّدَقاتِ، وتاب اللهُ عليكم مِن تَرْكِكم لها؛ فحافِظوا على الصَّلَواتِ الواجِبةِ، بأركانِها وشُروطِها وواجباتِها، وأعطُوا الزَّكاةَ المفروضةَ في أموالِكم إلى مُستَحِقِّيها.

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ.

أي: وأطيعوا اللهَ ورَسولَه في أمْرِهما ونَهْيِهما.

وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ.

أي: واللهُ ذو خِبرةٍ بجَميعِ أعمالِكم، فيَعلَمُ بواطِنَها كما يَعلَمُ ظواهِرَها، لا يخفَى عليه شَيءٌ مِن ذلك، وسيُجازيكم عليها.

سورةُ المُجادلةِ

الآيات (14–19)

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ
وَهُمْ يَعْلَمُونَ (14) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (15) اتَّخَذُوا
أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (16)

لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ
(17) يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا
إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ (18) اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ
الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (19)

غَرِيبُ الكَلِماتِ:

تَوَلَّوْا: أصلُ (ولي) يدُلُّ على القُرْبِ، سواءٌ مِن حيثُ: المكانُ، أو النِّسبةُ، أو الدِّينُ، أو الصَّداقةُ، أو النُّصرةُ، أو الاعتقادُ، وكلُّ مَن وَلِيَ أمْرَ آخَرَ فهو وَلِيُّه.

أَيْمَانَهُمْ: أي: حَلِفَهم، واليَمينُ: القَسَمُ، وسُمِّيَ الحَلِفُ يَمينًا -وهو اسمُ اليَدِ-؛ لأنَّهم كانوا يَبْسُطونَ أيْمانَهم إذا حَلَفوا أوْ تحالَفوا، ثمَّ كثُر ذلك حتَّى سُمِّيَ الحلفُ والعهدُ نفْسُه يمينًا، وقِيل: يَمينٌ فَعيلٌ مِن اليُمنِ، وهو البَرَكةُ، سَمَّاها اللهُ تعالَى بذلك؛ لأنَّها تحفَظُ الحُقوقَ.

جُنَّةً: أي: تَقِيَّةً وسُترةً، وأصلُ (جنن): يدُلُّ على سَترٍ.

اسْتَحْوَذَ: أي: غَلَبَ واستَولَى، وأصلُ (حوذ): يدُلُّ على الخِفَّةِ والسُّرعةِ.

حِزْبُ الشَّيْطَانِ: أي: جُنْدُه وأتْباعُه وطائِفَتُه، والحزبُ: الجماعةُ مِن النَّاسِ، أو: جماعةٌ فيها غِلَظٌ، والطَّائفةُ مِن كلِّ شيءٍ حزبٌ، وأصلُ (حزب): يدُلُّ على تجَمُّعِ الشَّيءِ.

تفسيرُ الآياتِ:

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (14).

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ.

أي: أَلَمْ تَرَ -يا محمَّدُ- إلى المنافِقينَ الَّذين تولَّوُا اليَهودَ الَّذين غَضِبَ اللهُ عليهم، فيَنصَحونَ لهم ويُناصِرونَهم؟[72]

كما قال تعالى: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ [الحشر: 11].

مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ.

أي: ليس المنافِقونَ في الحقيقةِ مِن أهلِ دينِكم -أيُّها المؤمِنونَ-، ولا هم أيضًا على مِلَّةِ اليهودِ.

---

(72) قال ابنُ تيمية (٦/ ٢٤٩): «وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ما هُمْ مِنكُمْ ولا مِنهُمْ﴾، وهم المنافقون الذين تولَّوا اليهود، باتفاق أهل التفسير، وسياق الآية يدلّ عليه».

كما قال تعالى: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ [البقرة: 8 – 10].

وقال سُبحانه: إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا * مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا [النساء: 142، 143].

وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ.

سَبَبُ النُّزولِ:

عن ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما، قال: قال رَسولُ اللهِ – ﷺ –: ((يَدخُلُ عليكم رجلٌ يَنظُرُ بعَينِ شَيطانٍ، أو بعينَيْ شَيطانٍ. قال: فدخَلَ رجُلٌ أزرَقُ، فقال له:[73] عَلامَ تَسُبُّني أوْ تَشْتُمُني؟ قال: فجعَل

(73) ورد في بعضِ الرِّواياتِ: ((فقال: يا محمَّدُ، عَلامَ سبَبْتَني –أو شتَمْتَني)) قال أحمد شاكر: («محمَّد» خطأٌ ينافي السِّياقَ؛ فإنَّ الَّذي نُسِب إليه السَّبُّ والشَّتمُ هو هذا المنافِقُ الأزرَق، ورسولُ الله يَسألُه ويَتَّهِمُه، وهو يَحلِفُ كاذبًا يتبرَّأُ مِن التُّهمةِ...، فالظَّاهِرُ أنَّ الخطأَ بهذه الزِّيادةِ مِن بعضِ رُواةِ المُسنَدِ أو ناسخيه).

((مسند أحمد)) بتحقيق أحمد شاكر (543/2).

ويُنظر: ((مسند أحمد)) بتحقق شعيب الأرناؤوط (48/4).

يَحْلِفُ، قال: فنزَلَت هذه الآيةُ الَّتي في المجادَلةِ: وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ [المجادلة: 14] والآيةُ الأُخرى)). (74)

وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ.

أي: وهم يَحلِفونَ للمُؤمِنينَ على الكَذِبِ في دعوى الإيمانِ، أو غيرِ ذلك، وهم يَعلَمونَ أنَّهم كاذِبونَ فيما حَلَفوا عليه!

كما قال الله تبارك وتعالى: وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ [التوبة: 56].

وقال سُبحانَه: إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ * اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ [المنافقون: 1، 2].

---

(74) أخرجه أحمدُ (2147)، والبَزَّارُ (5010)، وابنُ جرير في ((تفسيره)) (489/22) واللَّفظُ له، والطَّبَرانيُّ (8/12) (12309).

قال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (125/7): (رجالُه رجالُ الصَّحيح).

وصَحَّح إسنادَه أحمد شاكر في تخريج ((مسند أحمد)) (18/4)، وحَسَّن إسنادَه شعيبٌ الأرناؤوط في تخريج ((مسند أحمد)) (48/4).

ويُنظر: ((الصحيح المسند من أسباب النزول)) للوادعي (ص: 205).

ويُنظر روايةٌ أخرى لهذا الحديثِ (ص: 348).

أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (15).

أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا.

أي: هيَّأَ اللهُ لأولئك المنافِقينَ عَذابًا شديدًا.

كما قال تعالى: إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا [النساء: 145].

إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ.

أي: قد أعدَّ اللهُ لهم عذابًا شديدًا؛ لأنَّهم عَمِلوا أعمالًا سَيِّئةً مُتكَرِّرةً أصَرُّوا عليها، حتَّى صارت دَيدَنًا لهم وطَبعًا وجِبلَّةً.

اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (16).

اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ.

أي: جَعَل المنافِقونَ حَلِفَهم الكاذِبَ للمُؤمِنينَ وِقايةً لهم مِن كَشْفِ أمْرِهم، وافتِضاحِ نِفاقِهم، فيتَّقونَ بذلك القَتلَ، ويَدفَعونَ عن أنفُسِهم وأموالِهم وذراريِّهم، فصَدُّوا أنفُسَهم وغيرَهم عن اتِّباعِ الحَقِّ.[75]

---

(75) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٢٥٦) في معنى: ﴿فَصَدُّوا عن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الآية ثلاثة احتمالات: الأول: «أن يكون الفعل غير مُتَعَدٍّ، كما تقول: صَدَّ زيدٌ».

ثم وجَّهه بقوله: «أي: صدّوا هم أنفسهم عن سبيل الله وعن الإيمان برسوله».

والثاني: «أن يكون الفعل مُتَعَدّيًا».

ثم وجَّهه بقوله: «أي: صدّوا غيرهم من الناس عن الإيمان ممن اقتدى بهم وجرى في مضمارهم».

فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ.

أي: فلهؤلاء المنافِقينَ عَذابٌ مُذِلٌّ لهم.

لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (17).

لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا.

أي: لن تُغنيَ عن المنافِقينَ بأيِّ وجهٍ مِن الوُجوهِ أموالُهم، فيَفتَدوا بها مِن عذابِ اللهِ، ولا أولادُهم، فيُنقِذوهم منه.

كما قال الله تبارك وتعالى: يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ [الشعراء: 88، 89].

أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ.

أي: أولئك أهلُ النَّارِ الَّذين هم لها مُلازِمونَ، وفيها ماكِثونَ، ومنها لا يُخرَجونَ.

والثالث: «أن يكون المعنى: فَصَدُّوا المسلمين عن قتْلهم، وتلك سبيل اللَّهِ فيهم، لكن ما أظهروه من الإيمان صدوا به المسلمين عن ذلك».

يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ (18).

يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ.

سَبَبُ النُّزولِ:

عن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما، قال: ((كان رَسولُ اللهِ - ﷺ - جالِسًا في ظِلِّ حُجرتِه، قد كاد يَقلِصُ[76] عنه، فقال لأصحابِه: يجيئُكم رجُلٌ يَنظُرُ إليكم بعَينِ شَيطانٍ، فإذا رأيتُموه فلا تكَلِّموه، فجاء رجُلٌ أزرَقُ، فلمَّا رآه النَّبيُّ - ﷺ - دعاه، فقال: عَلامَ تَشتُمني أنت وأصحابُك؟! قال: كما أنت حتَّى آتيَك بهم، فذهب فجاءَ بهم، فجعلوا يَحلِفونَ باللهِ ما قالوا، وما فَعَلوا، وأنزل اللهُ عزَّ وجَلَّ: يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ إلى آخِرِ الآيةِ)).[77]

---

(76) يَقلِصُ أي: يرتفِعُ ويَذهَبُ.

يُنظر: ((النهاية)) لابن الأثير (100/4).

(77) أخرجه أحمد (3277) واللَّفظُ له، والطَّبَرانيُّ (7/12) (12307)، والحاكمُ (3795).

صحَّحه الحاكِمُ على شرطِ مسلمٍ، وصحَّح إسنادَه ابنُ تيميَّةَ في ((الصارم المسلول)) (48/2)، والبوصيري في ((إتحاف الخيرة المهرة)) (284/6)، وأحمد شاكر في تخريج ((مسند أحمد)) (95/5)، وجوَّد إسنادَه الزَّيْلَعيُّ في ((تخريج الكشاف)) (432/3)، وابنُ كثير في ((تفسير القرآن)) (78/8)، وقال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (125/7): (رجالُه رجالُ الصَّحيحِ).

وحَسَّن إسنادَه شعيبٌ الأرناؤوط في تخريج ((مسند أحمد)) (317/5).

يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ.

أي: يومَ يَبعَثُ اللهُ أولئك المنافِقينَ مِن قُبورِهم أحياءً، فيَحلِفونَ لله كَذِبًا أنَّهم مُؤمِنونَ مُهتَدونَ كما يَحلِفونَ لكم -أيُّها المؤمِنونَ- في الدُّنيا كَذِبًا!

وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ.

أي: ويَظُنُّ المنافِقونَ يومَ القيامةِ أنَّهم في حَلِفِهم باللهِ كَذِبًا على شَيءٍ يُعتدُّ به فيَنفَعُهم عندَ اللهِ تعالى.

أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ.

أي: ألَا إنَّ المنافِقينَ هم الكاذِبونَ حَقًّا؛ فقد بَلَغوا في الكَذِبِ حَدًّا لم يَبلُغْه غيرُهم.

اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (19).

اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ.

أي: غَلَبَ عليهم الشَّيطانُ فتمَلَّكهم واستولى على قُلوبِهم حتَّى غَفَلوا عن ذِكرِ اللهِ، فلم يَعمَلوا بطاعتِه، ولم يَنتَهوا عن معصيتِه، ويَقِفوا عندَ حُدودِه.

عن أبي الدَّرداءِ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: سَمِعتُ رَسولَ اللهِ - ﷺ - يقولُ: ((ما مِن ثلاثةٍ في قريةٍ ولا بَدوٍ لا تُقامُ فيهم الصَّلاةُ إلَّا قد استَحوذَ عليهم الشَّيطانُ، فعليك بالجماعةِ؛ فإنَّما يأكُلُ الذِّئبُ القاصيةَ)).(78)

أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ.

أي: أولئك أتْباعُ الشَّيطانِ وأنصارُه وجُندُه وطائِفتُه.

أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ.

أي: ألَا إنَّ أتْباعَ الشَّيطانِ وأنصارَه وجُندَه هم الهالِكونَ، الَّذين خَسِروا دينَهم ودُنياهم وأنفُسَهم وأهْلِيهم.

---

(78) أخرجه أبو داودَ (547) واللَّفظُ له، والنسائيُّ (847)، وأحمدُ (21710).
صحَّحه ابنُ حِبَّانَ في ((الصحيح)) (2101)، وابنُ الملقِّن في ((البدر المنير)) (4/386)، وصحَّح إسنادَه الحاكِمُ في ((المستدرك)) (3796)، والنوويُّ في ((المجموع)) (4/182)، وحسَّن الحديثَ الألبانيُّ في ((صحيح سنن أبي داود)) (547)، وحسَّن إسنادَه شعيبٌ الأرناؤوط في تخريج ((سنن أبي داود)) (547).

سورةُ المُجادلةِ

الآيات (20–22)

إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ (20) كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ
قَوِيٌّ عَزِيزٌ (21) لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ
كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ
بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ
أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (22)

غَريبُ الكَلِماتِ:

الْأَذَلِّينَ: أي: الأذِلَّاءِ الصَّاغِرينَ، وأصلُ (ذلل): يدُلُّ على الخُضوعِ والاستِكانةِ.

كَتَبَ اللَّهُ: أي: قضَى اللهُ وخَطَّ في أمِّ الكِتابِ، وأصل (كتب): يدُلُّ على جمْعِ شَيءٍ إلى شيءٍ.

عَشِيرَتَهُمْ: العَشِيرةُ: أهلُ الرَّجُلِ الَّذين يَتكَثَّرُ بهم، وأصلُ (عشر): يدُلُّ على مُدَاخَلةٍ ومُخالَطةٍ.

حِزْبَ اللَّهِ: أي: أنصارُ اللهِ وجُندُه، وأصلُ (حزب): يدُلُّ على تجَمُّعِ شَيءٍ.

تَفسيرُ الآياتِ:

إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ (20).

أي: إنَّ الَّذين يُخالِفونَ ويُعادونَ اللهَ ورَسولَه أولئك مِن جملةِ أهلِ الذِّلَّةِ الشَّديدةِ.

كما قال الله تبارك وتعالى عن اليَهودِ: ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ [آل عمران: 112].

وقال سُبحانَه: رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ [آل عمران: 192].

كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (21).

كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي.

أي: قضى اللهُ وقدَّر تقديرًا ثابتًا لا يتخلَّفُ ولا يتبدَّلُ بأنَّ له ولرُسُلِه النَّصرَ والغَلَبةَ في الدُّنيا والآخِرةِ على مَن خالَفَ الحَقَّ.

كما قال تعالى: وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ * وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ [الصافات: 171 - 173].

وقال سُبحانَه: إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ [غافر: 51].

إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ.

أي: إنَّ اللهَ قَويٌّ فلا يُعجِزُه الانتِصارُ مِمَّن حادَّه ورُسُلَه، عزيزٌ لا يمتَنِعُ عليه شَيءٌ؛ فهو الغالِبُ الَّذي لا يُغلَبُ.

لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (22).

لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ.

أي: لا يُمكِنُ أن تَجِدَ –يا مُحمَّدُ– قومًا يُؤمِنونَ باللهِ، ويُؤمِنونَ باليَومِ الآخِرِ، ومع ذلك يُحِبُّونَ ويُوالُونَ مَن خالَفَ وعادَى اللهَ ورَسولَه.

كما قال تعالى: لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً [آل عمران: 28].

وقال سُبحانَه: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ

نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ * وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ [المائدة: 51 – 54].

وقال عزَّ وجلَّ: تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ * وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ [المائدة: 80، 81].

وقال جلَّ شأنه: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ [الفتح: 29].

وقال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ [الممتحنة: 1].

وقال تبارك وتعالى: قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ [الممتحنة: 4].

وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ.

أي: لا يَجتمِعُ الإيمانُ باللهِ وباليَومِ الآخِرِ مع موادَّةِ مَن حادَّ اللهَ ورَسولَه، ولو كان هؤلاء المحادُّون آباءَ أولئك المؤمِنينَ أو أبناءَهم أو إخوانَهم، أو أقارِبَهم وجماعتَهم.

كما قال تعالى: قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ [التوبة: 24].

وعن أنسِ بنِ مالكٍ رَضِيَ اللهُ عنه، عن النَّبيِّ – ﷺ – قال: ((لا يُؤمِنُ أحدُكم حتَّى أكونَ أحبَّ إليه مِن والِدِه ووَلَدِه والنَّاسِ أجمَعينَ)).(79)

أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ.

أي: أولئك قرَّر وأثبَتَ اللهُ في قُلوبِهِم الإيمانَ، فلا يَشُكُّون ولا يَرتَدُّون.

---

(79) رواه البخاريُّ (15) واللَّفظُ له، ومسلمٌ (44).

كما قال تعالى: وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (7) فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً [الحجرات: 7، 8].

وعن أنَسٍ رَضِيَ اللهُ عنه، عن النَّبِيِّ – ﷺ – قال: ((ثلاثٌ مَن كُنَّ فيه وَجَد بهِنَّ حلاوةَ الإيمانِ: مَن كان اللهُ ورَسولُه أحَبَّ إليه ممَّا سِواهما، وأن يُحِبَّ المرءَ لا يُحِبُّه إلَّا للهِ، وأن يَكرَهَ أن يعودَ في الكُفرِ بعدَ أن أنقذَه اللهُ منه، كما يَكرَهُ أن يُقذَفَ في النَّارِ)).[80]

وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ.

أي: وقَوَّاهم اللهُ بوَحْيِه، ومَعونتِه، ونصرِه، ومَددِه، وإحسانِه سُبحانَه.

كما قال تعالى: فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ [الصف: 14].

---

(80) رواه البخاريُّ (16) واللَّفظُ له، ومسلمٌ (43).

وعن أبي سَلَمةَ بنِ عبدِ الرَّحمنِ بنِ عَوفٍ: ((أنَّه سَمِعَ حَسَّانَ بنَ ثابتٍ الأنصاريَّ يَستَشهِدُ أبا هُرَيرةَ: أَنشُدُكَ اللهَ،[81] هل سَمِعتَ النَّبيَّ - ﷺ - يقولُ: يا حسَّانُ، أَجِبْ عن رَسولِ اللهِ - ﷺ -، اللَّهُمَّ أيِّدْه برُوحِ القُدُسِ؟[82] قال أبو هُريرةَ: نَعَمْ)).[83]

وعن عائِشةَ رَضِيَ اللهُ عنها، أنَّ رَسولَ اللهِ - ﷺ - قال: ((اهجُوا قُرَيشًا؛[84] فإنَّه أشَدُّ عليها مِن رَشْقٍ بالنَّبْلِ. قالت عائِشةُ: فسَمِعتُ رَسولَ اللهِ - ﷺ -يقولُ لحسَّانٍ: إنَّ رُوحَ القُدُسِ لا يَزالُ يؤيِّدُك ما نافَحْتَ[85] عن اللهِ ورَسولِه)).[86]

---

(81) أَنشُدُكَ اللهَ أي: أسألُك باللهِ، وأُقسِمُ عليك به.

يُنظر: ((النهاية)) لابن الأثير (53/5).

(82) برُوحِ القُدُسِ: أي: بجِبْريلَ، سُمِّيَ به؛ لأنَّه كان يأتي الأنبياءَ بما فيه حياةُ القُلوبِ، فهو كالمبدأِ لحياةِ القَلْبِ، كما أنَّ الرُّوحَ مَبدَأٌ لحياةِ الجَسدِ، والقُدُس: صِفةٌ للرُّوحِ، وإنَّما أُضيفَ إليه؛ لأنَّه مجبولٌ على الطَّهارةِ والنَّزاهةِ عن العيوبِ.

وقيل: القُدُسُ بمعنى: المقَدَّسِ، وهو اللهُ، وإضافةُ الرُّوحُ إليه للتَّشريفِ.

ثمَّ تأييدُه: إمدادُه له بالجوابِ، وإلهامُه لما هو الحَقُّ والصَّوابُ.

يُنظَر: ((مرقاة المفاتيح)) للقاري (3015/7).

(83) رواه البخاري (6152)، ومسلم (2485).

(84) اهجُوا أي: اشتِمْهم، يقال: هَجاهُ هِجاءً: إذا شتَمَه بالشِّعْرِ، وعَدَّدَ فيه مَعايِبَه.

يُنظر: ((تاج العروس)) للزَّبيدي (279/40).

(85) نَافَحْتَ: أي: دافَعْتَ، يُريدُ بمُنافَحتِه هِجاءَ المشْركين، ومُجاوَبَتَهم على أشْعارِهم.

يُنظر: ((النهاية)) لابن الأثير (89/5).

(86) رواه مسلم (2490).

وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا.

أي: ويُدخِلُهم اللهُ في الآخِرةِ جنَّاتٍ تَجري مِن تحتِها الأنهارُ، وهم ماكِثونَ في تلك الجنَّاتِ أبدًا.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ.

أي: رَضِيَ اللهُ عنهم فلا يَسخَطُ عليهم أبدًا، ورَضُوا هم عن اللهِ بما أعطاهم مِن الكراماتِ، وإجزالِ المثوباتِ، وإدخالِ الجنَّاتِ.

أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ.

أي: أولئك أولياءُ اللهِ وأنصارُه، وجُندُه وطائِفتُه.

أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ.

أي: ألَا إنَّ أولياءَ اللهِ وأنصارَه وجُندَه وطائفتَه: هم وَحْدَهم دونَ غَيرِهم الفائزونَ الظَّافِرونَ، وهم في النَّعيمِ باقُونَ ماكِثونَ.

سُورةُ الحَشْرِ

سورةُ الحَشْرِ

1- سُمِّيت هذه السُّورةُ بسُورةِ (الحَشْرِ).[87]

فعن سعيدِ بنِ جُبَيرٍ، قال: (قُلْتُ لابنِ عبَّاسٍ:... سورةُ الحَشْرِ، قال: نزَلتْ في بَني النَّضيرِ).[88]

2- سُمِّيتْ أيضًا بسورةِ بَني النَّضيرِ.

فعن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ أيضًا في روايةٍ، قال: (قلتُ لابنِ عبَّاسٍ: سورةُ الحَشْرِ. قال: قُلْ: سورةُ بني النَّضيرِ).[89]

---

(87) سُمِّيت سورةَ الحَشْرِ؛ لوُقوعِ لَفظِ الحَشْرِ فيها، ولكَونِها ذُكِرَ فيها حَشْرُ بَني النَّضيرِ.

يُنظر: ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (458/1)، ((تفسير ابن عاشور)) (62/28).

(88) رواه البخاريُّ (4029)، ومسلمٌ (3031).

(89) أخرجه البخاريُّ (4029).

قال ابنُ حَجرٍ: (كأنَّه [أي: ابنَ عبَّاسٍ] كَرِه تسميتَها بالحَشْرِ؛ لِئلَّا يُظَنَّ أنَّ المرادَ يومُ القيامةِ، وإنَّما المرادُ به هنا إخراجُ بني النَّضيرِ).

((فتح الباري)) (629/8).

وقال ابنُ عاشور: (ابنُ جُبَيرٍ سَمَّاها باسمِها المشهورِ، وابنُ عبَّاسٍ يُسَمِّيها سورةَ بني النَّضيرِ، ولعَلَّه لم يَبلُغْه تسميةُ النَّبيِّ - ﷺ - إيَّاها «سورةَ الحَشْرِ»؛ لأنَّ ظاهِرَ كَلامِه أنَّه يرى تسميتَها «سورةَ بني النَّضيرِ»؛ لِقَولِه لابنِ جُبَيرٍ: «قُلْ: بني النَّضيرِ»، وتأوَّلَ ابنُ حَجرٍ كلامَ ابنِ عباسٍ على أنَّه كَرِهَ تَسميتَها بـ «الحَشْرِ»؛ لئلَّا يُظَنَّ أنَّ المرادَ بالحَشْرِ يومُ القيامةِ.

سورةُ الحَشْرِ مَدَنيَّةٌ،(90) ونَقَل الإجماعَ على ذلك غيرُ واحِدٍ مِنَ المفَسِّرينَ.(91)

مِن أهَمِّ مَقاصِدِ السُّورةِ:

1- الحديثُ عن غزوةِ بَني النَّضيرِ، ونصْرِ الله لِعبادِه المؤمنينَ، وخِذْلانِه للضَّالِّينَ.

2- ذِكرُ جانبٍ مِن أسماءِ الله تعالى الحسنى، وصِفاتِه العُلى.

مِن أهمِّ الموضوعاتِ الَّتي اشتَمَلَتْ عليها السُّورةُ:

1- افتُتِحَت سورةُ الحَشْرِ بتَنزيهِ اللهِ تعالى عمَّا لا يَليقُ به، وإظهارِ عِزَّتِه وحِكْمتِه في تَصريفِ الأُمورِ.

2- الحديثُ عن غزوةِ بني النَّضيرِ، وما يَسَّرَ اللهُ تعالى مِن إجلائِهم، مع ما كانوا عليه مِن المَنَعةِ والحُصُونِ والعُدَّةِ.

3- الحديثُ عن تقسيمِ أموالِ بني النَّضيرِ، وعن حِكمةِ اللهِ تعالى في إرشادِه النَّبيَّ - ﷺ - إلى هذا التَّقسيمِ (أحكام الفيءِ).

وهذا تأوُّلٌ بعيدٌ.

وأحسَنُ مِن هذا أنَّ ابنَ عَبَّاسٍ أراد أنَّ لها اسمَينِ، وأنَّ الأمرَ في قَولِه: «قُلْ» للتَّخيير).

((تفسير ابن عاشور)) (62/28).

(90) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (496/22)، ((الوسيط)) للواحدي (269/4)، ((تفسير الزمخشري)) (498/4).

(91) ممَّن نقَل الإجماعَ على ذلك: ابنُ عطية، وابن الجوزي، والقرطبي، والفيروزابادي، والبِقاعي.

يُنظر: ((تفسير ابن عطية)) (256/5)، ((تفسير ابن الجوزي)) (253/4)، ((تفسير القرطبي)) (1/18)، ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (458/1)، ((مصاعد النظر)) للبقاعي (71/3).

ذكر ابنُ عطية (٨/ ٢٥٩) أنّ هذه السورة مدنيّة باتفاق من أهل العلم.

4- الثَّناءُ على المهاجِرينَ والأنصارِ.

5- كَشْفُ دخائِلِ المنافِقينَ الَّذين تحالَفوا مع اليَهودِ ضِدَّ المؤمِنينَ، وذِكْرُ جانبٍ مِن أقوالِهم الكاذِبةِ، ووُعودِهم الخادِعةِ.

6- وَصفُ بني النَّضيرِ والمنافِقينَ بالجُبْنِ، وتفرُّقِ الكَلِمةِ، وتنظيرُ حالِ تغريرِ المنافِقينَ لليَهودِ بتغريرِ الشَّيطانِ للَّذين يَكفُرونَ باللهِ، وتنَصُّلِه منهم يومَ القيامةِ.

7- توجيهُ الأمرِ للمُؤمِنينَ بتقْوى اللهِ، ونَهيُهم عن التَّشَبُّهِ بالفاسِقينَ عن أمرِ اللهِ، والتَّذكيرُ بتفاوُتِ حالِ الفريقَينِ.

8- بيانُ عَظَمةِ القُرآنِ وجلالَتِه، واقتضائِه خُشوعَ أهلِه.

9- خُتِمَت السُّورةُ الكريمةُ بذِكرِ جانبٍ مِن أسماءِ اللهِ تعالى وصِفاتِه.

سورةُ الحَشْرِ

الآيات (1–4)

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (1) هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ
كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ
حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ
بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ (2) وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ
لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ (3) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ
اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (4)

غريب الكلمات:

سَبَّحَ: أي: نزَّهَ وبرَّأَ مِن كلِّ عَيبٍ، وأصلُ (سبح) هنا: جِنسٌ مِن العِبادةِ.

دِيَارِهِمْ: أي: مَنازِلِهم، والدَّارُ: المَنزِلُ؛ اعتِبارًا بدوَرانِها الَّذي لها بالحائطِ، ثمَّ تُسمَّى البلدةُ دارًا، والدُّنيا كلُّها دارًا، والدَّارُ أيضًا: القبيلةُ، وأصلُ (دور): يدُلُّ على إحداقِ الشَّيءِ بالشَّيءِ مِن حَوالَيْه.

الْحَشْرِ: أي: الجَمعِ والجلاءِ والإخراجِ، وأصلُ الحشرِ: الجمعُ مع سَوقٍ، وكلُّ جَمْعٍ حشْرٌ، وقيل: الحَشْرُ: إخراجُ الجماعةِ عن مقرِّهم، وإزعاجُهم عنه إلى الحربِ ونحوِها، وأصلُ (حشر): السَّوقُ والبَعْثُ والانْبِعاثُ.

حُصُونُهُمْ: الحصونُ جمْعُ حِصْنٍ، وهو كلُّ مَوضِعٍ حَصينٍ لا يوصَلُ إلى جَوفِه، وأصلُ (حصن): الحِفظُ والحِياطةُ والحِرزُ.

لَمْ يَحْتَسِبُوا: أي: لم يَظُنُّوا، ولم يَخطُرْ ببالِهم، ويَحتسِبُ مُبالَغةٌ في الحِسبانِ، أي: الظَّنِّ، يُقالُ: حَسِبتُ كذا حِسبانًا في معنى ظَنَنْت، وأصلُ (حسب) هنا: العَدُّ، ومنه الحِسْبانُ؛ لأنَّه إذا قال: حَسِبْتُه كذا، فكأنَّه قال: هو في الَّذي أعُدُّه مِن الأمورِ الكائِنَةِ.

وَقَذَفَ: أي: ألْقى، وأصلُ (قذف): يدُلُّ على الرَّميِ والطَّرحِ.

الرُّعْبَ: أي: الخوفَ والهَلَعَ والجَزَعَ، وقيل: الرُّعب هو الخَوفُ الَّذي يملأُ الصَّدرَ والقلبَ، وقيل: إنَّه أشدُّ الخوفِ، وأصلُ (رعب) هنا: الخَوفُ.

فَاعْتَبِرُوا: أي: فاتَّعِظوا، والاعتِبارُ والعِبْرَةُ: الدَّلالةُ بالشَّيءِ على مِثلِه، وحقيقتُها الحالةُ الَّتي يُتوصَّلُ بها مِن مَعرِفةِ المُشاهَدِ إلى ما ليس بمُشاهَدٍ، وأصلُ (عبر): يدُلُّ على النُّفوذِ والمُضِيّ في الشَّيءِ.

الجَلَاءَ: أي: الإخلاءَ، والخُروجَ مِن الوَطنِ، وأصلُ (جلو): يدُلُّ على الكَشفِ الظَّاهِرِ.

شَاقُّوا: أي: حَاربُوا وخَالَفُوا، وصارُوا في شِقٍّ غيرِ شِقِّه، وأصلُ (شقق): يدُلُّ على انصِداعٍ في الشَّيءِ.

تفسير الآيات:

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (1).

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ.

أي: نزَّه اللهَ عن العُيوبِ والنَّقائِصِ جَميعُ ما في السَّمَوَاتِ وجميعُ ما في الأرضِ مِن المخلوقاتِ.[92]

كما قال تعالى: تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ [الإسراء: 44].

وقال سُبحانَه: أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ [النور: 41].

وقال عزَّ وجلَّ: يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ [الجمعة: 1].

وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.

أي: واللهُ هو العزيزُ الَّذي لا يمتنِعُ عليه شَيءٌ، ولا يَغلِبُه شَيءٌ، الحَكيمُ الَّذي يَضَعُ كُلَّ شَيءٍ في مَوضِعِه الصَّحيحِ اللَّائِقِ به.

---

(92) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٢٥٩) أنّ مكّيًّا قال: ﴿سَبَّحَ﴾ معناه: صلّى وسَجد.
ثم علّق بقوله: «فهذا كلّه بمعنى الخضوع والطوّع».

هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ (2).

هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ.

أي: هو وَحْدَه الَّذي أخرَجَ يَهودَ بَني النَّضيرِ مِن مَنازِلِهم ودُورِهم حَولَ المدينةِ لأوَّلِ جَمعٍ لليَهودِ، وإجلاءٍ لهم مِن المدينةِ.[93]

---

(93) لخّص ابنُ عطية (٨/ ٢٦٠) الخلاف في قوله تعالى: ﴿لِأَوَّلِ الحَشْرِ﴾، فقال: «اختلف الناسُ في معنى ذلك بعد اتفاقهم على أنّ» الحَشْر «: الجمع والتوجيه إلى ناحية ما.

فقال الحسن بن أبي الحسن وغيره: أراد: حَشْر القيامة، أي: هذا أوله، والقيام من القبور آخره، ورُوي أنّ النبي - ﷺ - قال لهم: «امضوا هذا أول الحشر وإنّا على الأثر».

وقال عكرمة، والزهري، وغيرهما: المعنى: لأول موضع الحَشْرِ، وهو الشام، وذلك أنّ أكثر بني النَّضِير جاءت إلى الشام.

وقد رُوي: أنّ حشر القيامة هو إلى بلد الشام، وأنّ النبي - ﷺ - قال لبني النضير: «اخرجوا».

قالوا: إلى أين؟ قال: «إلى أرض المَحْشَر».

وقال قوم في كتاب المهدوي: المراد: الحَشْر في الدنيا الذي هو الجلاء والإخراج، فهذا الذي فعل رسول الله - ﷺ - ببني النَّضِير أوله، والذي فعل عمر بن الخطاب بأهل خَيبر آخره، وأخبرت الآية بمغيَّب، وقد أخبر النبي - ﷺ - بجلاء أهل خَيبر».

ثم ذكر احتمالًا آخر، فقال: «ويحتمل أن يكون آخر الحَشْر في قول النبي - ﷺ - في مرضه: «لا يبقيّن دينان في جزيرة العرب».

فإنّ ذلك يتضمن إجلاء بقاياهم».

عن سَعيدِ بنِ جُبَيرٍ أنَّه سأَلَ ابنَ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهما عن سورةِ الحَشرِ، قال: (نزَلَت في بَني النَّضيرِ).[94]

مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا.

أي: ما ظَنَنْتُم -يا أصحابَ النَّبيِّ- أن يَخرُجَ يهودُ بَني النَّضيرِ مِن مَنازِلِهم ودُورِهم، ويَترُكوا لكم أموالَهم حينَ حاصَرْتُم حُصونَهم المنيعةَ.

وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ.

أي: وظنَّ أولئك اليهودُ أنَّ حُصونَهم ستَحميهم مِن بأسِ اللهِ، فتتعذَّرُ هزيمتُهم.

فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا.

أي: فأنزَلَ اللهُ بهم بأسَه وعذابَه مِن حيثُ لم يَخطُرْ ببالِهم.

كما قال تعالى: قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ [النحل: 26].

وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ.

أي: وألْقى اللهُ تعالى في قُلوبِهم الخَوفَ والهَلَعَ حينَ حاصَرَهم الرَّسولُ - ﷺ - وأصحابُه.

---

(94) رواه البخاريُّ (4029)، ومسلمٌ (3031).

كما قال تعالى: سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ [الأنفال: 12].

وعن جابِرِ بنِ عَبدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عنهما، أنَّ النَّبيَّ – ﷺ – قال: ((نُصِرتُ بالرُّعبِ مَسيرةَ شَهرٍ))[95]. [96]

يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ.

أي: هم جعَلوا مَساكِنَهم خرابًا بأيديهم، وهم مَن ألجؤُوا المؤمنينَ إلى تخريبِها.[97]

القِراءاتُ ذاتُ الأثَرِ في التَّفسيرِ:

في قَولِه تعالى: يُخْرِبُونَ قِراءتانِ:

1- قِراءةُ يُخَرِّبُونَ بالتَّشديدِ، أي: يُهَدِّمون.[98]

---

(95) أي: نَصَرني اللهُ بإلقاءِ الخَوفِ في قُلوبِ أعدائي مِن مَسيرةِ شَهرٍ، يَعْني: بيْني وبيْنَهم مِن سائرِ نواحي المَدينةِ وجَميعِ جِهاتِها.
يُنظر: ((مرقاة المفاتيح)) للقاري (3674/9)، ((التيسير بشرح الجامع الصغير)) للمُناوي (172/1).

(96) رواه البخاريُّ (335) واللَّفظُ له، ومسلمٌ (521).

(97) قال ابنُ جرير (٢٢/ ٥٠٠): «وقوله: ﴿يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين﴾ يعني جلّ ثناؤه بقوله: ﴿يخربون بيوتهم﴾: بني النَّضِير مِن اليهود، وأنهم يُخربون مساكنهم، وذلك أنهم كانوا ينظرون إلى الخشبة فيما ذكر في منازلهم مما يستحسنونه، أو العمود أو الباب، فينزعون ذلك منها ﴿بأيديهم وأيدي المؤمنين﴾.
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل».
وذكر أقوال السلف، ثم ذكر قول مَن قال: «إنما قيل ذلك كذلك لأنهم كانوا يُخرِبون بيوتهم ليبنوا بنَقضها ما هدم المسلمون مِن حصونهم».
ولم يعلّق عليه.

(98) قرأ بها أبو عَمرٍو.
يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (386/2).

2- قراءة يُخْرِبُونَ بالتَّخفيفِ. قيل: بمعنَى التَّركِ والتَّعطيلِ، أي: يَتركون بُيوتَهم ويُعطِّلونها، تقولُ: أخرَبْتُ المكانَ، إذا خرَجْتَ عنه وترَكْتَه. وقيل: بمعنى الهدمِ، فيَجري ذلك مَجرى أكرَمتُ وكرَّمْتُ، وكذلك خرَّبتُ وأخرَبتُ.(99)

فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ.

أي: فاتَّعِظوا يا أصحابَ البصائرِ والعقولِ والأفهامِ بما أحلَّ اللهُ بهؤلاء اليَهودِ فلم تمنَعْهم قوَّتُهم، ولا حصَّنَتْهم حُصونُهم، وتفكَّروا في عاقِبةِ مَن خالَفَ أمْرَ الله، وخالَف رسولَه؛ فإنَّ في هذا مُعتبَرًا.

وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ (3).

ويُنظر لمعنى هذه القراءةِ: ((معاني القراءات)) للأزهري (63/3)، ((الحجة في القراءات السبع)) لابن خالويه (ص: 344)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: 705).

(99) قرأ بها الباقون.

يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (386/2).

ويُنظر لمعنى هذه القراءةِ: ((معاني القراءات)) للأزهري (63/3)، ((الحجة في القراءات السبع)) لابن خالويه (ص: 344)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: 705).

وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا.

أي: ولولا أنَّ اللهَ قضى وقدَّرَ على يَهودِ بَني النَّضيرِ إخراجَهم مِن دِيارِهم إلى بلادٍ أُخرى لَعذَّبَهم في الدُّنيا.

وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ.

أي: ولهم مع جَلائِهم في الدُّنيا عذابُ النَّارِ في الآخِرةِ.

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (4).

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ.

أي: إنَّما استحَقَّ يَهودُ بَني النَّضيرِ الجَلاءَ في الدُّنيا، وعذابَ النَّارِ في الآخِرةِ؛ لأنَّهم خالَفوا اللهَ ورسولَه وعادَوهما.

وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ.

أي: ومَن يُخالِفِ اللهَ في أمرِه ونَهْيِه ويُعادِه فإنَّ اللهَ يُعاقِبُه عِقابًا شَديدًا.

سورةُ الحَشْرِ

الآيات (5–7)

مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ (5) وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (6) مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (7)

غريب الكلمات:

لِينَةٍ: اللِّينةُ: النَّخلةُ ما لم تكُنْ عَجوةً أو بَرْنيَّةً. وقيل: هي النَّخلةُ مِن غَيرِ استثناءٍ. وقيل غيرُ ذلك.

وَلِيُخْزِيَ: أي: ولِيُذِلَّ، والخِزيُ: أن يَلحَقَ الرَّجُلَ انكسارٌ مِن غيرِه، وهو ضربٌ مِن الاستِخفافِ، وأصل (خزو) هنا: يدُلُّ على الإبعادِ.

أَفَاءَ: أي: رجَعَه وردَّه مِن الكُفَّارِ. والفَيءُ هو: ما ناله المُسلِمونَ مِن العَدُوِّ بغيرِ قِتالٍ، وأصلُ (فيأ): يدُلُّ على الرُّجوعِ.

أَوْجَفْتُمْ: أي: أسرَعْتُم، والإيجافُ: الإسراعُ في السَّيرِ، وقد أوجَفَ دابَّتَه يُوجِفُها إيجافًا: إذا حَثَّها على السُّرعةِ.

رِكَابٍ: أي: إبِلٍ، واحِدتُها راحِلةٌ، ولا واحِدَ لها مِن لَفظِها، وأصلُ (ركب): يدُلُّ على عُلُوِّ شَيءٍ شَيئًا.

وَابْنِ السَّبِيلِ: أي: المُنقَطِعِ بالطَّريقِ يُريد بلدًا آخَرَ، والسَّبيلُ: الطَّريقُ، وسُمِّيَ الطَّريقُ بذلك؛ لامتِدادِه، وأصلُ (سبل): يدُلُّ على امتِدادِ شَيءٍ.

دُولَةً: الدُّولَةُ: اسمٌ للشَّيءِ الَّذي يَتداوَلُه القَومُ بَيْنَهم، وأصلُ (دول): يدُلُّ على تَحَوُّلِ شَيءٍ مِن مكانٍ إلى مكانٍ.

تفسير الآيات:

مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ (5).

مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ.

سَبَبُ النُّزولِ:

عن عبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنهما، قال: ((حرَّق رسولُ اللهِ - ﷺ - نَخلَ بني النَّضيرِ وقَطَعَ، وهي البُوَيرةُ، فنزلت: مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ)).[100]

مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ.

أي: ما قطَعْتُم مِن نخلةٍ -أيُّها المُسلِمونَ- في حِصارِكم لبَني النَّضيرِ، أو تركْتُم قَطْعَها، فبَقِيَت قائمةً على جُذوعِها: إنَّما هو بإذْنِ اللهِ تعالى، فلا لَومَ عليكم فيما قطَعْتُم أو تركْتُم.

وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ.

أي: ولِيُذِلَّ اللهُ ويُهينَ الخارِجينَ عن طاعتِه، المخالِفينَ لأمْرِه ونَهْيِه مِن يهودِ بني النَّضيرِ، بما يَصنَعُه المُسلِمونَ في نَخْلِهم، وهم عاجِزونَ عن رَدِّهم واستِنقاذِه منهم.

---

(100) رواه البخاري (4031)، ومسلم (1746).

وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (6).

وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ.

أي: والَّذي ردَّه اللهُ على رَسولِه مِن أموالِ يَهودِ بَني النَّضيرِ، فما حرَّكتُم وأسرَعتُم -أيُّها المسلِمونَ- مِن أجْلِه خَيلًا ولا إبِلًا، ولا قَطَعْتُم مِن أجْلِه مَسافةً؛ إذ كانوا قريبينَ مِنكم، فلم يَحصُلْ لكم كبيرُ مَشَقَّةٍ في أخْذِ أموالِهم.[101]

(101) اختُلِف في الذي عنى بهذه الآية على أقوال: الأول: عُني بذلك: الجزية والخراج.

الثاني: عني بذلك: الغنيمة التي يصيبها المسلمون من عدوهم من أهل الحرب بالقتال عنوة.

الثالث: عني بذلك: الغنيمة التي أوجف عليها المسلمون بالخيل والرِّكاب، وأُخذتْ بالغلبة، وقالوا: كانت الغنائم في بدو الإسلام لهؤلاء الذين سمّاهم الله في هذه الآيات دون المُرجفين عليها، ثم نسخ ذلك بالآية التي في سورة الأنفال.

الرابع: عني بذلك: ما صالح عليه أهل الحرب المسلمين من أموالهم، وقالوا قوله: ﴿ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول﴾ الآيات، بيان قَسْم المال الذي ذكره الله في الآية التي قبل هذه الآية، وذلك قوله: ﴿وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب﴾.

ذكر هذا ابن جرير عن بعض المتفقهة من المتأخرين.

وعلّق ابنُ عطية (٨/ ٢٦٤) على القول الأول، فقال: «وليس في الآية نسخٌ على هذا التأويل».

وقد ذكر ابنُ جرير (٢٢/ ٥١٨) هذه الأقوال، ثم قال: «والصواب من القول في ذلك عندي: أنّ هذه الآية حكمها غير حكم الآية التي قبلها، وذلك أنّ الآية التي قبلها مالٌ جعله الله - عز وجل - لرسوله - ﷺ - خاصة دون غيره، لم يجعل فيه لأحد نصيبًا، وبذلك جاء الأثر عن عمر بن الخطاب».

وذكر أثرًا عن عمر، ثم قال: «فإذا كانت هذه الآية التي قبلها مضت، وذكر المال الذي خصّ الله به رسوله - ﷺ -، ولم يجعل لأحد معه شيئًا، وكانت هذه الآية خبرًا عن المال الذي جعله الله لأصناف شتى؛ كان معلومًا بذلك أنّ المال الذي جعله لأصناف من خلْقه غير المال الذي جعله للنبي - ﷺ - خاصة، ولم يجعل له شريكًا».

وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ.

أي: إنَّ ما خَوَّلَه اللهُ لرَسولِه مِن أموالِ بَني النَّضيرِ شَيءٌ لم تحصُلوا عليه بالقِتالِ والغَلَبةِ، ولكِنْ سَلَّط اللهُ رَسولَه عليهم وعلى ما في أيديهم، كما كان يُسَلِّطُ رُسُلَه على أعدائِهم؛ فالرَّسولُ أحَقُّ به، والأمرُ فيه مُفَوَّضٌ إليه.

وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

أي: واللهُ ذو قُدرةٍ بالغةٍ تامَّةٍ على فِعلِ كُلِّ شَيءٍ، كما سَلَّط رَسولَه على يَهودِ بَني النَّضيرِ؛ فلا يُعجِزُه أحدٌ، ولا يمتَنِعُ عليه شَيءٌ.

مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (7).

وذكر ابنُ عطية (٨/ ٢٦٤) قول قتادة، وانتقده مستندًا لأحوال النزول، فقال: «وهذا القول يضعف؛ لأن آية الأنفال نَزَلَتْ إثر بدر، وقبل بني النَّضِير، وقبل أمر هذه القرى بسنة ونيّف».

مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ.

أي: الَّذي ردَّه اللهُ على رَسوله مِن أموالِ مُشرِكي القُرى كبَني النَّضيرِ وغَيرِهم بلا قِتالٍ؛ فهو للهِ يَحكُمُ فيه بما يَشاءُ، ولِرَسوله محمَّدٍ يَصرفُه ويُقَسِّمُه.

عن عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: (كانت أموالُ بَني النَّضيرِ ممَّا أفاء اللهُ على رَسولِه - ﷺ - ، ممَّا لم يُوجِفِ المسلِمونَ عليه بخَيلٍ ولا رِكابٍ، فكانت لرَسولِ الله - ﷺ - خاصَّةً، وكان يُنفِقُ على أهلِه نَفَقةَ سَنَتِه، ثمَّ يجعَلُ ما بَقِيَ في السِّلاحِ والكُراعِ[102] عُدَّةً في سَبيلِ اللهِ).[103]

وَلِذِي الْقُرْبَى.

أي: ولقَرابةِ النَّبيِّ - ﷺ - ممَّن تَحرُمُ عليهم الصَّدقةُ.

وَالْيَتَامَى.

أي: ولليَتامى الَّذين مات آباؤُهم وهم دونَ سِنِّ البُلوغِ.

وَالْمَسَاكِينِ.

أي: ولأهلِ الحاجةِ والفاقةِ.

---

(102) الكُراع: الخَيل.
يُنظر: ((الصحاح)) للجوهري (1276/3).
(103) رواه البخاري (2904) واللفظ له، ومسلم (1757).

وَابْنِ السَّبِيلِ.

أي: وللغَريبِ المسافِرِ المُنقَطِعِ، المُحتاجِ للمالِ في غيرِ مَعصيةِ اللهِ.

كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ.

أي: أَمَرْنا بصَرفِ مالِ الفَيءِ في هذه الأصنافِ السَّابِقةِ؛ كي لا يكونَ مالُ الفَيءِ خاصًّا للأغنياءِ يَتداوَلونَه بيْنَهم دونَ الفُقَراءِ والضُّعَفاءِ.

وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ.

أي: وما أعطاكم رَسولُ اللهِ مِن أموالِ الفَيءِ أو غيرِ ذلك، فخُذوه.

وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا.

أي: وما نَهاكم رَسولُ اللهِ عنه، كأخْذِ الغُلولِ وغيرِ ذلك، فانتَهوا عنه.

عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّه كان يحَدِّثُ أنَّه سَمِعَ رَسولَ اللهِ - ﷺ - يقولُ: ((ما نَهَيتُكم عنه فاجتَنِبوه، وما أمَرتُكم به فافعَلوا منه ما استَطعتُم؛ فإنَّما أهلَكَ الَّذين مِن قَبْلِكم كَثرةُ مَسائِلِهم، واخِتلافُهم على أنبيائِهم)).[104]

---

(104) رواه البخاريُّ (7288)، ومسلمٌ (1337) واللَّفظُ له.

وَاتَّقُوا اللَّهَ.

أي: وخافُوا اللهَ واحذَروا سَخَطَه وعَذابَه، بفِعلِ ما أمَرَكم به ورَسولُه، وتَركِ ما نهاكم عنه ورَسولُه.

كما قال تعالى: فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ [النور: 63].

إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ.

أي: إنَّ اللهَ شديدٌ عِقابُه لِمَن يَعصي اللهَ ورَسولَه، ويخالِفُ أمْرَهما ونَهْيَهما.

سورةُ الحَشْرِ

الآيات (8–10)

لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (8) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (9) وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (10)

غريب الكلمات:

تَبَوَّءُوا الدَّارَ: أي: توطَّنوا المدينةَ، واتَّخَذوها مَوطِنًا، والتَّبَوُّءُ: التَّمَكُّنُ والاستِقرارُ، وأصلُ (بوأ): يدُلُّ على رُجوعٍ، وأصلُ (دور): يدُلُّ على إحداقِ الشَّيءِ بالشَّيءِ مِن حوالَيْه.

وَيُؤْثِرُونَ: أي: يُقَدِّمونَ المحاويجَ على حاجةِ أنفُسِهم، وأصلُ (أثر) هنا: يدُلُّ على تقديمِ الشَّيءِ.

خَصَاصَةٌ: أي: حاجةٌ وفَقرٌ، قيل: الخَصاصةُ مأخوذةٌ مِن خَصاصِ البَيتِ، وهي الفُرَجُ الَّتي تَكونُ فيه، وقيل: إنَّها مأخوذةٌ مِن الاختِصاصِ، وهو الانفرادُ بالأمرِ، فالخَصاصةُ: الانفرادُ بالحاجةِ، وأصلُ (خصص): يدُلُّ على فُرْجةٍ.

شُحَّ: الشُّحُّ: بُخلٌ مع حِرصٍ، وقيل غيرُ ذلك، وأصلُ (شحح): يدُلُّ على مَنعٍ.

غِلًّا: أي: حِقدًا وحَسَدًا وبُغضًا، وأصلُ (غلل): يدُلُّ على تخَلُّلِ شَيءٍ.

تفسير الآيات:

لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (8).

لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ.

أي: لأصحابِ النَّبِيِّ – ﷺ – الفُقراءِ المُهاجِرينَ مِن مَكَّةَ إلى المدينةِ، الَّذين أخرَجَهم كُفَّارُ قُرَيشٍ مِن بُيوتِهم وأموالِهم: نَصيبٌ مِن الفَيءِ.

يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا.

أي: وهم يَطلُبونَ رِزقًا مِنَ اللهِ يأتيهم، ورِضًا منه يَحُلُّ عليهم حينَ خرَجوا إلى دارِ الهِجرةِ.

وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ.

أي: ويَنصُرونَ دينَ اللهِ الَّذي بَعَث به رَسولَه مُحَمَّدًا – ﷺ –.

أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ.

أي: أولئك العالُو الرُّتبةِ هم الصَّادِقونَ حقًّا في إيمانِهم باللهِ تعالى، وبرَسولِه – ﷺ –.

وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (9).

وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ.

أي: والصَّحابةُ الأنصارُ الَّذين سَكَنوا مَدينةَ الرَّسولِ – ﷺ –، وآمَنوا باللهِ ورَسولِه مِن قَبْلِ هجرةِ المُهاجِرينَ إليهم– يُحِبُّونَ الَّذين هاجَروا إليهم.

عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((قالت الأنصارُ للنَّبيّ – ﷺ –: اقسِمْ بَيْنَنا وبيْنَ إخوانِنا النَّخيلَ، قال: لا. فقالوا: تَكفُونا المُؤْونةَ، ونَشْرَكُكم في الثَّمَرةِ، قالوا: سَمِعْنا وأطَعْنا)).[105]

---

(105) رواه البخاري (2325).

وعن أنَسِ بنِ مالِكٍ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((دعا النَّبيُّ – ﷺ –الأنصارَ إلى أن يُقطِعَ[106] لهم البَحْرينِ، فقالوا: لا، إلَّا أن تُقْطِعَ لإخوانِنا مِن المهاجِرينَ مِثْلَها، قال: إمَّا لا،[107] فاصبِروا حتَّى تَلْقَوني؛ فإنَّه سيُصيبُكم بَعْدي أَثَرةٌ[108].[109]

وعن أنسٍ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((قال المهاجِرونَ: يا رَسولَ اللهِ، ما رَأَيْنا مِثلَ قَومٍ قَدِمْنا عليهم أحسَنَ مُواساةً في قليلٍ، ولا أحسَنَ بَذْلًا في كثيرٍ، لقد كَفَونا المؤُونةَ،[110] وأشرَكُونا في المَهْنأِ،[111] حتَّى لقد حَسِبْنا أن يَذهَبوا بالأجْرِ كُلِّه! قال: لا، ما أَثنيتُم عليهم، ودَعوتُم اللهَ لهم)).[112]

---

(106) يُقْطِعَ: أي: يُعْطِيَ.
يُنظر: ((إرشاد الساري)) للقسطلاني (154/6).
(107) أي: إن كنتُم لا تُريدونَ أو لا تَقْبَلونَ إيثاري لكم، فأُدغِمَ النُّونُ في الميمِ، وحُذِف فِعلُ الشَّرطِ.
يُنظر: ((الإفصاح عن معاني الصحاح)) لابن هُبَيْرة (280/5)، ((اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح)) للبِرماوي (358/10).
(108) أَثَرةً: أي: استئثارًا لغَيرِكم عليكم.
يُنظر: ((إرشاد الساري)) للقَسْطَلَّاني (154/6).
(109) رواه البخاري (3794).
(110) أي: تَحَمَّلوا عنَّا مَشَقَّةَ الخِدمةِ في عِمارةِ الدُّورِ والنَّخيلِ مِن سَقيٍ وإصلاحٍ وغيرِ ذلك.
يُنظر: ((المفاتيح في شرح المصابيح)) للمُظْهِري (522/3)، ((مرقاة المفاتيح)) للقاري (2012/5).
(111) المَهْنَأ: كلُّ ما يأتيكَ مِنَ المالِ مِن غيرِ تَعَبٍ.
يُنظر: ((المفاتيح في شرح المصابيح)) للمُظْهِري (522/3).
(112) أخرجه مِن طرقٍ: أبو داودَ (4812) مختصرًا، والترمذيُّ (2487)، والنسائيُّ في ((السنن الكبرى)) (10009)، وأحمدُ (13075) واللَّفظُ له.
قال الترمذي: (صحيحٌ حسَنٌ غريبٌ مِن هذا الوجهِ).
وصَحَّحه ابنُ دقيقِ العيدِ في ((الاقتراح)) (117)، والألبانيُّ في ((صحيح سنن الترمذي)) (2487)، وقال ابنُ كثير في ((البداية والنهاية)) (227/3): (على شرطِ الصَّحيحَينِ).

وعن أنسٍ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: (قَدِمَ علينا عبدُ الرَّحمنِ بنُ عَوفٍ، وآخَى رَسولُ اللهِ - ﷺ - بَيْنَه وبيْنَ سَعدِ بنِ الرَّبيعِ، وكان كثيرَ المالِ، فقال سَعدٌ: قد عَلِمَتِ الأنصارُ أنِّي مِن أكثَرِها مالًا، سأَقسِمُ مالي بيْني وبيْنَك شَطرَينِ، ولي امرأتانِ فانظُرْ أعجَبَهما إليك، فأُطَلِّقُها، حتَّى إذا حلَّت تزوَّجْتَها! فقال عبدُ الرَّحمنِ: بارك اللهُ لك في أهلِك).[113]

وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا.

أي: ولا يَجِدُ أولئك الأنصارُ في صُدورِهم أيَّ حَسَدٍ مِمَّا أعطاه اللهُ ورَسولُه للمُهاجِرينَ مِن فَيْءِ بَني النَّضيرِ.

وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ.

سَبَبُ النُّزولِ:

عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه: ((أنَّ رَجُلًا أتى النَّبيَّ - ﷺ -، فبَعَث إلى نسائِه فقُلْنَ: ما مَعَنا إلَّا الماءُ! فقال رَسولُ اللهِ - ﷺ -: مَن يَضُمُّ أو يُضيفُ هذا؟ فقال رجُلٌ مِن الأنصارِ: أنا، فانطلَقَ به إلى امرأتِه، فقال: أكرِمي ضَيفَ رَسولِ اللهِ - ﷺ -، فقالت: ما عِندَنا إلَّا قوتُ صِبياني، فقال: هَيِّئي

وصَحَّح إسنادَه على شرطِ الشَّيخَينِ شعيبٌ الأرناؤوط في تخريج ((مسند أحمد)) (361/20).

(113) رواه البخاري (3781).

طعامَكِ، وأَصْبِحي[114] سِراجَكِ، ونَوِّمي صِبيانَكِ إذا أرادوا عَشاءً، فهَيَّأَت طَعامَها، وأصبَحَت سِراجَها، ونوَّمَت صِبيانَها، ثمَّ قامت كأنَّها تُصلِحُ سِراجَها فأطفَأَتْه! فجعَلَا يُريانِه أنَّهما يأكُلانِ، فباتا طاوِيَينِ![115] فلمَّا أصبَحَ غَدَا إلى رَسولِ اللهِ – ﷺ –، فقال: ضَحِكَ اللهُ اللَّيلةَ، أو عَجِبَ مِن فِعالِكما! فأنزَلَ اللهُ: وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)).[116]

وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ.

أي: ويتَصَدَّقُ الأنصارُ بأموالِهم وطعامِهم؛ إيثارًا للمُحتاجِينَ على أنفُسِهم، حتَّى لو كان بهم فَقرٌ وحاجةٌ شَديدةٌ لذلك.

---

(114) أي: أوقِديه.
يُنظر: ((إرشاد الساري)) للقَسْطَلَّاني (156/6).
(115) طاوِيَينِ: أي: بغَيرِ عَشاءٍ.
يُنظر: ((إرشاد الساري)) للقَسْطَلَّاني (156/6).
(116) رواه البخاريُّ (3798) واللَّفظُ له، ومسلمٌ (2054).

عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: يا رَسولَ اللهِ، أيُّ الصَدَقةِ أفضَلُ؟ قال: ((جُهْدُ المُقِلِّ،[117] وابدَأْ بمَنْ تَعُولُ))[118].[119]

وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ.

أي: ومَن سلَّمَه اللهُ مِن شِدَّةِ حِرصِ النَّفْسِ على جَمعِ المالِ،[120] فأولئك هم الفائِزونَ الظَّافِرونَ.

---

(117) جُهْدُ المُقِلّ: أي: بَذْلُ الفَقيرِ؛ لأنَّه يكونُ بجُهدٍ ومَشَقَّةٍ لقِلَّةِ مالِه.

يُنظر: ((تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة)) للبيضاوي (594/2).

(118) بمَن تَعُولُ: أي: بمَن تَلزَمُك نَفَقتُه.

يُنظر: ((السراج المنير شرح الجامع الصغير)) للعَزِيزي (257/1).

(119) أخرجه أبو داودَ (1677)، وأحمدُ (8702).

صحَّحه ابنُ حِبَّانَ في ((الصحيح)) (3346)، والحاكمُ في ((المستدرك)) (574/1)، والألبانيُّ في ((صحيح سنن أبي داود)) (1677)، وقال ابنُ حجر في ((تخريج مشكاة المصابيح)) (303/2): أصلُه في الصَّحيحِ.

وصَحَّح إسنادَه أحمد شاكر في تخريج ((مسند أحمد)) (286/16)، وشعيب الأرناؤوط في تخريج ((سنن أبي داود)) (1677).

(120) بيّن ابنُ تيمية (٦/ ٢٧٢ – ٢٧٤): «أنّ الشُّح: هو شدة حرص النفس، وقوة الرغبة في المال، وبغضٌ للغير، وظلم له، وأنه أعمّ من البُخل، فكل شحيح بخيل، وليس كل بخيل شحيحًا».

وانتقد قولَ مَن سوّى بينهما.

وذكر ابنُ عطية (٨/ ٢٦٨) أنّ «شُحّ النفس» هو: كثرة منْعها، وضبطها على المال، والرغبة فيه، وامتداد الأمل.

ثم بيّن أنّ هذا جِماع شُحّ النفس، وأنه داعية كلّ خُلُقٍ سُوء، وساق الحديث الوارد في الآثار المتعلقة بالآية عن أنس، ثم علَّق قائلًا:

«واختلف الناس بعد هذا الذي قلنا، فذهب الجمهور والعارفون بالكلام إلى هذا، وعلى هذا التأويل كان عبد الرحمن بن عوف؟ يطوف ويقول: اللهم، قِني شُحّ نفسي.

لا يزيد على ذلك، فقيل له في ذلك فقال: إذا وُقيته لم أفعل سوءًا».

وساق بعد ذلك قول ابن زيد.

عن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عنهما، أنَّ رَسولَ اللهِ – ﷺ – قال: ((اتَّقوا الشُّحَّ؛ فإنَّ الشُّحَّ أهلَكَ مَن كان قَبلَكم، حمَلَهم على أنْ سَفَكوا دِماءَهم، واستحَلُّوا محارِمَهم.[121][122]

وعن عبدِ اللهِ بنِ عَمرٍو رَضِيَ اللهُ عنهما، قال: خطَب رَسولُ اللهِ – ﷺ –، فقال: ((إيَّاكم والشُّحَّ؛ فإنَّما هلَك مَن كان قَبْلَكم بالشُّحِّ، أمَرَهم بالبُخلِ فبَخِلوا، وأمَرَهم بالقَطيعةِ فقطَعوا، وأمَرَهم بالفُجورِ ففَجَروا)).[123]

وعن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، عن النَّبيِّ – ﷺ –، قال: ((لا يجتَمِعُ الشُّحُّ والإيمانُ في قَلبِ عبدٍ أبدًا)).[124]

(121) استحَلُّوا محارِمَهم: أي: جَعَلوا المُحرَّمَ عليهم مِن وَطْءِ نسائِهم حلالًا.
يُنظر: ((شرح المصابيح)) لابن المَلَك (357/5).

(122) رواه مسلم (2578).

(123) أخرجه مِن طُرقٍ: أبو داودَ (1698) واللَّفظُ له، والنسائيُّ في ((السنن الكبرى)) (11583)، وأحمدُ (6487)، وابنُ حِبَّانَ في ((صحيحه)) (5176).
صحَّحه الألبانيُّ في ((صحيح سنن أبي داود)) (1698)، وصحَّح إسنادَه الطَّبريُّ في ((مسند عمر)) (106/1)، والحاكمُ في ((المستدرك)) (576/1)، وأحمد شاكر في تخريج ((مسند أحمد)) (201/9)، وشعيبٌ الأرناؤوط في تخريج ((سنن أبي داود)) (1698).

(124) أخرجه مطوَّلًا النسائيُّ (3110) واللَّفظُ له، وأحمدُ (9693)، وابنُ حِبَّانَ في ((صحيحه)) (3251).
صَحَّحه الألبانيُّ في ((صحيح سنن النسائي)) (3110)، وشعيبٌ الأرناؤوط بطُرُقِه وشواهِدِه في تخريج ((مسند أحمد)) (433/15)، وصحَّح إسنادَه الطَّبريُّ في ((مسند عمر)) (102/1).

وعن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((أتى رَسولَ اللهِ - ﷺ - رجُلٌ، فقال: يا رَسولَ اللهِ، أيُّ الصَّدَقةِ أعظَمُ؟ فقال: أنْ تَصدَّقَ وأنت صَحيحٌ شَحيحٌ، تَخشى الفَقْرَ، وتأمُلُ الغِنى، ولا تُمهِلْ حتَّى إذا بلَغَتِ الحُلْقومَ قُلتَ: لِفُلانٍ كذا، ولفُلانٍ كذا، ألَا وقد كان لفُلانٍ)).[125]

وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (10).

وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ.

أي: والمؤمِنونَ الَّذين جاؤُوا مِن بَعدِ المهاجِرينَ والأنصارِ يَقولونَ: رَبَّنا اغفِرْ لنا ولإخوانِنا في دينِ اللهِ، الَّذين تقَدَّموا في الإيمانِ به.

وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا.

أي: ولا تَجعَلْ في قُلوبِنا شَيئًا مِنَ البُغضِ أو الحِقدِ أو الحَسَدِ لأحَدٍ مِن أهلِ الإيمانِ بك.

رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ.

أي: رَبَّنا إنَّك ذو رأفةٍ ورَحمةٍ تامَّةٍ بالِغةٍ؛ فحقيقٌ أن تُجيبَ دُعاءَنا.

---

(125) رواه البخاريُّ (1419)، ومسلمٌ (1032) واللَّفظُ له.

سورةُ الحَشْرِ

الآيات (11–13)

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ
لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ
(11) لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ
ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ (12) لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ
(13)

غريب الكلمات:

لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ: أي: يَنهَزِمونَ، يُقالُ: ولَّاه دُبُرَه: إذا انهَزَم. والتَّولِّي: الإعراضُ بعدَ الإقبالِ. والإدبارُ: الذَّهابُ إلى جِهةِ الخَلفِ، وأصلُ (دبر): يدُلُّ على خِلافِ القُبُلِ.

رَهْبَةً: أي: خَوفًا وخَشيةً، وأصلُ (رهب): يدُلُّ على خَوفٍ.

تفسير الآيات:

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (11).

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ.

أي: ألم يَنْتَهِ علمُك -يا محمَّدُ- إلى المنافِقينَ الَّذين يقولونَ لإخوانِهم في الكُفرِ مِن يهودِ بني النَّضيرِ: نُقسِمُ باللهِ لَئِنْ أخرَجَكم المُسلِمونَ مِن ديارِكم لَنَخرُجَنَّ معكم مِن المدينةِ؟

وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا.

أي: ولن نُطيعَ في شأنِكم مُحمَّدًا ولا غيرَه مِمَّن يَسألُنا خِذْلانَكم، ويَدْعونا إلى تَركِ نُصرتِكم.

وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ.

أي: ولَئِنْ قاتَلَكم محمَّدٌ ومَن مَعَه لَنَنصُرَنَّكم عليهم، فنُعينُكم على قِتالِهم.

وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ.

أي: واللهُ يَشهَدُ إنَّ هؤلاءِ المُنافِقينَ لَكاذِبونَ فيما وَعَدوا به يهودَ بَني النَّضيرِ.

لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ (12).

لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ.

أي: لَئِنْ أُخرِجَ يَهودُ بني النَّضيرِ مِن ديارِهم لا يَخرُجُ معهم أولئك المُنافِقونَ الَّذين وَعَدوهم الخُروجَ.

وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ.

أي: ولَئِن قُوتِلوا لا يَنصُرُهم المنافِقونَ ولا يُقاتِلون معهم كما وَعَدوهم.

وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ.

أي: ولَئِنْ نَصَرهم المُنافِقونَ -على سَبيلِ الفَرضِ والتَّقديرِ- فقاتَلوا معهم عَدُوَّهم، لَفَرَّ المنافِقونَ وهَرَبوا مُنهَزِمينَ.

ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ.

أي: ثمَّ لا يُنصَرُ الكفَّارُ مِن بَعدِ ذلك.

لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (13).

لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ.

أي: إنَّ الخَوفَ الكامِنَ في صُدورِهم منكم -أيُّها المؤمِنونَ- أشَدُّ مِن خَوفِهم مِنَ اللهِ تعالى!

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ.

أي: خَوفُهم مِن المسلِمينَ أعظَمُ مِن خَوفِهم مِنَ اللهِ تعالى؛ لأنَّهم قَومٌ لا يَعلَمونَ قَدْرَ عَظَمةِ اللهِ، وكَمالِ قُدرتِه؛ فيُدرِكوا أنَّه هو وَحْدَه مَنْ يَنبَغي أن يُخشَى.

سورةُ الحَشْرِ

الآيات (14–17)

لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا
وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ (14) كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ
أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (15) كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي
بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (16) فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا
وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (17)

غريب الكلمات:

مُحَصَّنَةٍ: أي: مُحكَمةٍ مُمتَنِعةٍ بالأسوارِ والخنادقِ، وأصلُ (حصن): يدُلُّ على حِفظٍ وحِياطةٍ.

جُدُرٍ: أي: حيطانٍ وأسوارٍ، إلَّا أنَّ الحائِطَ يُقالُ اعتبارًا بالإحاطةِ بالمكانِ، والجِدارَ يُقالُ اعتبارًا بالنُّتوءِ والارتِفاعِ.

بَأْسُهُمْ: أي: عداوتُهم، وأصلُ (بأس): يدُلُّ على الشِّدَّةِ وما شابَهَها.

شَتَّى: أي: مُختَلِفةٌ، وأصلُ (شتت): يدُلُّ على تفرُّقٍ.

وَبَالَ: الوبالُ: الجزاءُ والثِّقلُ والعاقِبةُ، وأيضًا: الوَخامةُ وسُوءُ العاقِبةِ، وأصلُ (وبل): يدُلُّ على شِدَّةٍ في شَيءٍ وتجَمُّعٍ.

تفسير الآيات:

لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ (14).

لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ.

أي: لا يُقاتِلُكم المنافِقونَ واليَهودُ -أيُّها المُسلِمونَ- وهم مجتَمِعونَ، إلَّا في مُدُنٍ آمِنةٍ مُمَنَّعةٍ بالحُصونِ، أو مِن وراءِ جُدرانٍ وأسوارٍ وحِيطانٍ، فلا يَبرُزونَ لقِتالِكم؛ مِن شِدَّةِ جُبنِهم، وخَوفِهم منكم.(126)

بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ.

أي: عداوةُ بَعضِهم لِبَعضٍ عَداوةٌ شَديدةٌ.

تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى.

أي: تَظُنُّ أنَّهم مُجتَمِعونَ على كَلِمةٍ واحِدةٍ، والحَقيقةُ أنَّ قُلوبَهم مُختَلِفةٌ، وفي غايةِ التَّفرُّقِ.

---

(126) بيّن ابنُ عطية (٨/ ٢٧١) أنّ الضـــمير في قوله: ﴿يقاتلونكم﴾ عائد على بني النَّضِـــير وجميع اليهود في قول جماعة المفسرين.

ثم ذكر احتمالًا آخر، فقال: «ويحتمل أن يريد بذلك: اليهود والمنافقين؛ لأن دخول المنافقين في قوله تعالى: ﴿بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى﴾ متمكن بيّن».

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ.

أي: وُقوعُ مُعاداةِ بَعضِهم لبَعضٍ، وتَشَتُّتُ آرائِهم، وتَفَرُّقُ أهوائِهم؛ بسَبَبِ أنَّهم قَومٌ لا عَقْلَ لهم؛ حيثُ وَقَعوا فيما يَعلَمونَ ضَرَرَه، وأهمَلوا النَّظَرَ في عواقبِ الأُمورِ.

كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (15).

كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا.

أي: مَثَلُ اليَهودِ والمنافِقينَ كمَثَلِ يَهودِ بني قَينُقاعَ الَّذين عَذَّبَهم اللهُ بالجَلاءِ مِنَ المدينةِ، وكَمَثَلِ كُفَّارِ قُرَيشٍ الَّذين هُزِموا في بَدرٍ، وذلك قبْلَ وُقوعِ جَلاءِ بَني النَّضيرِ بزَمَنٍ يَسيرٍ.[127]

---

(127) اختُلِف فيمن عنى الله بقوله: ﴿الذين من قبلهم﴾ على قولين: الأول: أنهم بنو قَينقاع.

الثاني: مشركو قريش ببدر.

وقد ذكر ابنُ جرير (٢٢/ ٥٤٠) القولين، ورجّح العموم فيهما، فقال: «وأولى الأقوال بالصواب أن يُقال: إنّ الله – عز وجل – مَثَّل هؤلاء الكفار من أهل الكتاب مِمّا هو مُذيقهم مِن نكاله بالذين من قبلهم مِن مُكذّبي رسوله – ﷺ –، الذين أهلكهم بسخطه، وأمر بني قَيْنقاع ووقعة بدر كانا قبل جلاء بني النَّضِير، وكلّ أولئك قد ذاقوا وبال أمرهم، ولم يخصّص الله – عز وجل – منهم بعضًا في تمثيل هؤلاء بهم دون بعض، وكلٌّ ذائق وبال أمره، فمَن قربت مدّته منهم قبلهم، فهم مُمثّلون بهم فيما عنوا به من المثل».

وذكر ابنُ عطية (٨/ ٢٧١ – ٢٧٢) القولين، وزاد قولًا ثالثًا، فقال: «وقال بعض المتأولين: الضمير في قوله: ﴿قبلهم﴾ للمنافقين، والذين من قبلهم: هم منافقو الأمم المتقدمة، وذلك أنهم غُلبوا ونالتهم الذِّلة على وجه الدهر، فهم مَثَلٌ لهؤلاء».

وعلّق بقوله: «ولكن قوله: ﴿قريبا﴾ إمّا أن يكون في زمن موسى، وإلا فالتأويل المذكور يضعف، إلا أن تجعل ﴿قريبا﴾ ظرفًا للذوق، فيكون التقدير: ذاقوا وبال أمرهم قريبًا من عصيانهم وبحدثانه، ولا يكون المعنى: أنّ المثل قريب في الزمن من الممثل له».

ثم علّق على جميع الأقوال بقوله: «وعلى كل تأويل ف ﴿قريبًا﴾ ظرف أو نعت لظرف».

ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ.

أي: نالوا جزاءَ كُفرِهم، فعَذَّبَهم اللهُ في الدُّنيا.

وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ.

أي: ولهم عَذابٌ شَديدُ الإيلامِ في الآخِرةِ.

كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (16).

كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ.

أي: مَثَلُ أولئك المنافِقينَ الَّذين وَعَدوا يهودَ بَني النَّضيرِ الخُروجَ معهم إن أُخرِجوا، والنُّصرةَ لهم إن قُوتِلوا، ثُمَّ خَذَلوهم، فما مِن شَيءٍ مِن ذلك فعَلوا، ومثَلُ اليهودِ في اغترارِهم بهم- كمَثَلِ الشَّيطانِ حينَ سوَّل للإنسانِ الكُفرَ بالرَّحمنِ، وزَيَّنَه له، ووَعَده وَعدًا حَسَنًا بالنَّصرِ أو نَحوِه.(128)

(128) ذكر ابنُ عطية (٨/ ٢٧٢) في قوله: ﴿كمثل الشيطان إذ قال للإنسان﴾ قولين: الأول: أنّ الشيطان والإنسان هنا اسما جنس.

الثاني: أنّ الشيطان هنا شيطان مخصوص لبرصيصا العابد، كما في ورد في بعض الآثار.

وقد رجّح الأول بقوله: «والتأويل الأول هو وجه الكلام».

ولم يذكر مستندًا، وذكر قصة برصيصا، ثم علّق بقوله: «وهذا كلّه حديث ضعيف».

وبيّن أنّ الضمير في قوله: ﴿فكان عاقبتهما﴾ يحتمل أن يعود على كلا القولين.

فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ.

أي: فلمَّا كَفَر الإنسانُ باللهِ؛ اتِّباعًا للشَّيطانِ، وقَبولًا لتزيينه، واغترارًا بوَعدِه- تبرَّأَ منه الشَّيطانُ وخَذَلَه!

كما قال تعالى: وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ [الأنفال: 48].

وقال سُبحانَه: وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ [إبراهيم: 22].

إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ.

أي: قال الشَّيطانُ مُبَيِّنًا سَبَبَ تَبَرُّئِه مِن الإنسانِ الَّذي أطاعه في الكُفرِ: إنِّي أخافُ اللهَ الَّذي أوجَدَ جميعَ الخلائِقِ، وربَّاهم بنِعَمِه، فلا يُغْني أحَدٌ مِن خَلْقِه عن أحَدٍ شَيئًا إلَّا بإذْنِه؛ فليس لي قُدرةٌ على دَفعِ العذابِ عنك، أو جَلْبِ النَّفعِ لك.

فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (17).

فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا.

أي: فكان آخِرَ أمْرِ ذلك الشَّيطانِ والإنسانِ أنَّهما في النَّارِ ماكِثَينِ فيها أبَدًا.

وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ.

أي: والعاقِبةُ السَّيِّئةُ بالخُلودِ في النَّارِ هي جزاءُ كُلِّ مَن ظَلَم نَفْسَه بالكُفرِ باللهِ.

سورةُ الحَشْرِ

الآيات (18-21)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (18) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (19) لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ (20) لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (21)

غريب الكلمات:

خَاشِعًا: أي: مُتذَلِّلًا مُتواضِعًا، وأصلُ (خشع): يدُلُّ على التَّطامُنِ.

مُتَصَدِّعًا: أي: مُتَشَقِّقًا، وأصلُ (صدع): يدُلُّ على انفراجٍ في الشَّيءِ.

تفسير الآيات:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (18).

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ.

أي: يا أيُّها الَّذين آمَنوا، خافُوا اللهَ واحذَروا سَخَطَه وعَذابَه الدُّنيويَّ والأُخرويَّ، بامتِثالِ أوامِرِه، واجتِنابِ نواهيه.

وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ.

أي: ولْيتأمَّلْ كُلُّ أحدٍ فيما قدَّمَه مِن أعمالٍ لآخِرتِه؛ فيَزدادَ مِنَ الحَسَناتِ، ويَتوبَ مِن السَّيِّئاتِ، ويَستَعِدَّ للِقاءِ رَبِّه، ويُحاسِبَ نفْسَه قبْلَ أن يُحاسِبَه ربُّه!

وَاتَّقُوا اللَّهَ.

أي: واجعَلوا بَيْنَكم وبيْنَ سَخَطِ اللهِ وعَذابِه وِقايةً.

إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ.

أي: إنَّ اللهَ ذو خِبرةٍ بالِغةٍ تامَّةٍ بجَميعِ أعمالِكم؛ ظاهِرِها وباطِنِها، وسيُجازيكم عليها.

ثمَّ ضرَب لهم الأمثالَ تحذيرًا وإنذارًا، فقال:

وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (19).

وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ.

أي: ولا تكونوا كالَّذين غَفَلوا عن ذِكرِ اللهِ، والقيامِ بحَقِّه وطاعتِه؛ فأنساهم اللهُ أنفُسَهم؛ عُقوبةً لهم، فلم يُقَدِّموا لها خَيرًا يَنفعُها، أو أمرًا يُصلِحُها، فضَيَّعوها.[129]

(129) قال ابنُ تيمية (٦/ ٢٧٩ – ٢٨١): «وقد قال طائفة من المفسرين: ﴿نسوا الله﴾ أي: تركوا أمر الله ﴿فأنساهم أنفسهم﴾ أي: حظوظ أنفسهم حيث لم يُقدّموا لها خيرًا، هذا لفظ طائفة منهم البغوي.

ولفظ آخرين منهم ابن الجوزي: حين لم يعملوا بطاعته.

وكلاهما قال: ﴿نسوا الله﴾ أي: تركوا أمر الله.

ومثل هذا التفسير يقع كثيرًا في كلام مَن يأتي بمجمل من القول يبيّن معنى دلّتْ عليه الآية ولا يفسّرها بما يستحقه من التفسير.

فإنّ قولهم:» تركوا أمر الله «هو تركهم للعمل بطاعته، فصار الأول هو الثاني.

والله سبحانه قال: ﴿ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم﴾، فهنا شيئان: نسيانهم لله، ثم نسيانهم لأنفسهم الذي عُوقبوا به.

فإن قيل: هذا الثاني هو الأول، لكنه تفصيل مجمل كقوله: ﴿وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون﴾ [الأعراف: ٤]، وهذا هو هذا؛ قيل: هو لم يقل:» نسوا الله فنسوا حظّ أنفسهم «حتى يُقال: هذا هو هذا، بل قال: ﴿نسوا الله فأنساهم أنفسهم﴾ فثَمّ إنساء منه لهم أنفسهم، ولو كان هذا هو الأول لكان قد ذكر ما يعذرهم به لا ما يعاقبهم به.

فلو كان الثاني هو الأول لكان: ﴿نسوا الله﴾ أي: تركوا العمل بطاعته فهو الذي أنساهم ذلك.

ومعلوم فساد هذا الكلام لفظًا ومعنى.

ولو قيل: ﴿نسوا الله﴾ أي: نسوا أمره ﴿فأنساهم﴾ العمل بطاعته، أي: تذكّرها لكان أقرب، ويكون النسيان الأول على بابه.

فإنّ مَن نسي نفس أمر الله لم يطعه، ولكن هم فسّروا نسيان الله بترْك أمره، وأمره الذي هو كلامه ليس مقدورًا لهم حتى يتركوه، إنما يتركون العمل به، فالأمر بمعنى المأمور به.

إلا أن يقال: مُرادهم بترْك أمره هو ترك الإيمان به، فلمّا تركوا الإيمان أعقبهم بترْك العمل.

أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ.

أي: أولئك الَّذين نَسُوا اللهَ، فأنساهم أنفُسَهم: هم الخارِجونَ عن طاعةِ اللهِ إلى مَعصيتِه.

لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ (20).

لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ.

أي: لا يَستوي أهلُ النَّارِ وأهلُ الجنَّةِ في الفَضلِ والرُّتبةِ والجزاءِ عِندَ اللهِ.

كما قال تعالى: أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ * أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ [السجدة: 18 – 20].

وهذا أيضًا ضعيف؛ فإن الإيمان الذي تركوه إن كان هو ترْك التصديق فقط فكفى بهذا كفرًا وذنبًا، فلا تُجعل العقوبة ترْك العمل به، بل هذا أشد.

وإن كان المراد بترْك الإيمان ترْك الإيمان تصديقًا وعملًا فهذا هو ترْك الطاعة كما تقدّم.

وهؤلاء أُتوا من حيث أرادوا أن يفسّروا نسيان العبد بما قيل في نسيان الرّبّ، وذاك قد فسّر بالترْك، ففسّروا هذا بالترْك.

وهذا ليس بجيد؛ فإنّ النسيان المناقض للذكر جائز على العبد بلا ريب.

والإنسان يُعرض عما أُمر به حتى ينساه فلا يذكره.

فلا يحتاج أن يُجعل نسيانه تركًا مع استحضارٍ وعلمٍ.

وأمّا الرّبّ تعالى فلا يجوز عليه ما يناقض صفات كماله؟.

وفي تفسير نسيانه الكفار بمجرد الترْك نظر».

أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ.

أي: أهلُ الجنَّةِ هم وَحْدَهم النَّاجُونَ مِن العَذابِ، الظَّافِرونَ بالثَّوابِ.

كما قال الله وتعالى: فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ [آل عمران: 185].

لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (21).

لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ.

أي: لو أنزَلْنا هذا القُرآنَ على أيِّ جَبَلٍ مِن الجِبالِ، فسَمِعَ كَلامَ اللهِ وفَهِمَه؛ لَرأيتَه في حالِ خُضوعٍ وذُلٍّ، وفي غايةِ التَّشَقُّقِ؛ لشِدَّةِ خَوفِه مِنَ اللهِ تعالى، رَغْمَ قَساوتِه وصلابتِه؛ وذلك لكمالِ تأثيرِ معاني القرآنِ العَظيمِ.

قال تعالى: ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ [البقرة: 74].

وقال سُبحانَه: وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى [الرعد: 31].

وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ.

أي: وتلك الأمثالُ المَضروبةُ في القُرآنِ نَذكُرُها للنَّاسِ؛ لعَلَّهم يَتفَكَّرونَ فيها، فيَعتَبِرونَ بها ويتَّعِظونَ.

سورةُ الحَشْرِ

الآيات (22–24)

هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (22) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (23) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (24)

غريب الكلمات:

الْقُدُّوسُ: أي: الطَّاهرُ مِن كلِّ عيبٍ، المُنَزَّهُ عن كُلِّ نَقصٍ، مِن «القُدْس» وهو: الطَّهارةُ، وأصلُ (قدس): يدُلُّ على الطُّهرِ.

السَّلَامُ: أي: الَّذي سَلِمَ مِن كلِّ عَيبٍ، وبَرِئَ مِن كلِّ آفةٍ ونَقْصٍ يَلْحَقُ المَخْلوقينَ، وأصلُ (سلم): الصِّحَّةُ والعافِيَةُ.

الْمُؤْمِنُ: أي: الَّذي يُؤمِنُ عِبادَه المؤمنينَ مِن بأسِه وعَذابِه، فيَأْمَنون، أو الَّذي آمَنَ الخَلْقَ مِن ظُلمِه، مِن الأمانِ، أو المُصَدِّقُ لِرُسُلِه وأنبيائِه بما جاؤوا به، بالآياتِ والبَراهينِ والحُجَجِ، أو هو الَّذي يَصدُقُ ما وَعَدَ عِبادَه مِنَ الثَّوابِ، أو الَّذي يُصدقُ ظُنونَ عِبادِه المؤمنينَ، ولا يُخَيِّبُ آمالَهم، على أنَّ المؤمنَ: المُصَدِّقُ، مِن الإيمانِ، وهو التَّصديقُ.

الْمُهَيْمِنُ: أي: القائمُ على خَلقِه بأعمالِهم وأرزاقِهم وآجالِهم، باطِّلاعِه واستيلائه وحِفظِه، وكلُّ مُشرِفٍ على كُنهِ الأمرِ مُستَوْلٍ عليه حافِظٍ له فهو مُهَيمِنٌ عليه، وأصلُ الهيمَنةِ: الحِفظُ والارتِقابُ، يُقالُ إذا رقَبَ الرَّجُلُ الشَّيءَ وحَفِظَه وشَهِدَه: قد هَيمَنَ فُلانٌ عليه. وقيل: المُهَيمِنُ: الشَّاهِدُ على خَلْقِه بما يكونُ منهم مِن قولٍ أو فعلٍ. وقيلَ: المُهَيمِنُ: الأمينُ.

الْعَزِيزُ: أي: الَّذي اتَّصَف بالعِزَّة التَّامَّة: عِزَّةِ القَدْرِ -فهو عظيمُ القَدرِ، لا يَبلُغُ أحدٌ قَدْرَه، فلا مِثلَ له، ولا نَظيرَ-، وعِزَّةِ القَهْرِ -فهو قاهرٌ غالبٌ لا يَغلِبُه شَيءٌ-، وعِزَّةِ الامتِناعِ، فهو مُمْتَنِعٌ عليه النَّقصُ بأيِّ وجْهٍ مِنَ الوُجوهِ، وأصلُ (عزز): يدُلُّ على شِدَّةٍ وقُوَّةٍ وما ضاهاهما مِن غَلَبةٍ وقَهْرٍ.

الْجَبَّارُ: الجَبَّارُ بمعنى العَليِّ الأعلى، مِن قَولِهم: تَجَبَّرَ النَّباتُ: إذا عَلا، ويُقالُ للنَّخلةِ إذا طالتْ وارتفعتْ وفاتَتِ الأيديَ: جَبَّارةٌ. وبمعنَى القَهَّارِ، الَّذي جَبَرَ الخَلْقَ على ما أراد، ودانَ له كلُّ شَيءٍ وخضعَ، يُقالُ: أجبَرْتُه على كذا وجبَرْتُه؛ إذا أكرَهْتَه وقهَرْتَه عليه. وبمعنى الرَّؤوفِ، الَّذي يَجبُرُ الضَّعيفَ بالغِنى والقوَّةِ، ويجبُرُ الكَسيرَ بالسَّلامةِ، ويجبُرُ المُنكَسِرةَ قُلوبُهم، يُقالُ: جَبَرتُ عَظْمَه مِن كَسرٍ، وهذا مِنَ الإصلاحِ، وقيل: أصلُ الجَبْرِ: إصلاحُ الشَّيءِ بضَربٍ مِن القَهرِ. والجَبَّارُ: ذو الكبرياءِ والعَظَمةِ، يُقالُ: قَومٌ فيهم جَبريَّةٌ، أي: عَظَمةٌ وكِبرٌ، والجَبَّارُ: المَلِكُ، يُسمَّى بذلك؛ لِتَجَبُّرِه، وأصلُ (جبر): جِنسٌ مِنَ العَظَمةِ والعُلوِّ والاستِقامةِ.

الْبَارِئُ: أي: الخالِقُ المُنشِئُ مِنَ العَدَمِ، وأصلُ (برأ) هنا: يدُلُّ على الخَلقِ.

الْمُصَوِّرُ: المُوجِدُ لصُورِ الأشياءِ ومُرَكِّبُها على هَيئاتٍ مُختَلِفةٍ، والتَّصويرُ: التَّخطيطُ والتَّشكيلُ، وهو مُرتَّبٌ على الخَلقِ والبَرْأِ وتابعٌ لهما.

الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى: الحُسنى: تأنيثُ الأحسَنِ، كالكُبرى تأنيثُ الأكبَرِ، وهو صيغةُ تفضيلٍ، فالحُسنى أي: الَّتي هي أحسَنُ مِن غيرِها؛ فهي أحسَنُ الأسماءِ لِدَلالتِها على أحسَنِ مُسَمًّى، وأشرَفِ مَدلولٍ. وقيل: هي مَصدرٌ وُصِف به، وحُسنُ أسماءِ اللهِ هي أنَّها صِفةُ مَدحٍ وتعظيمٍ وتحميدٍ.

تفسير الآيات:

هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (22).

هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ.

أي: هو اللهُ الَّذي لا مَعبودَ بحقٍّ إلَّا هو وَحْدَه سُبحانَه، وكلُّ ما عُبِدَ مِن دُونِه فهو باطِلٌ.

عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ.

أي: العالِمُ بكُلِّ شَيءٍ، سواءٌ ما يَغيبُ عن خَلْقِه، أو ما يُشاهِدونَه.

كما قال تعالى: وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ [الأنعام: 59].

هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ.

أي: اللهُ ذو الرَّحمةِ الواسِعةِ العظيمةِ الَّتي وَسِعَت كُلَّ شَيءٍ. الموصِلُ رحمتَه إلى مَن يَشاءُ مِن عبادِه.

كما قال تعالى: وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ [الأعراف: 156].

وقال سُبحانَه: كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ [الأنعام: 54].

وقال عزَّ وجَلَّ: وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا [الأحزاب: 43].

وعن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: سَمِعتُ رَسولَ اللهِ - ﷺ - يقولُ: ((جَعَل اللهُ الرَّحمةَ مِئةَ جُزءٍ، فأمسَكَ عِندَه تِسعةً وتِسعينَ، وأنزَلَ في الأرضِ جُزءًا واحِدًا، فمِن ذلك الجزءِ تَتراحَمُ الخلائِقُ، حتَّى تَرفَعَ الدَّابَّةُ حافِرَها عن وَلَدِها؛ خَشْيةَ أن تُصيبَه)).[130]

هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (23).

هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ.

أي: هو اللهُ الَّذي لا مَعبودَ بحَقٍّ إلَّا هو وَحْدَه سُبحانَه، المَلِكُ الحَقُّ، المالِكُ لجَميعِ الأشياءِ، الكامِلُ التَّصَرُّفِ في جميعِ خَلْقِه بما يَشاءُ.

كما قال تعالى: قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ [آل عمران: 26، 27].

الْقُدُّوسُ.

أي: المتَّصِفُ بالطُّهرِ التَّامِّ، والنَّزاهةِ البالِغةِ.

---

(130) رواه البخاريُّ (6000)، ومسلمٌ (2752) واللَّفظُ له.

كما قال اللهُ تبارك وتعالى حاكيًا قولَ الملائِكةِ: وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ [البقرة: 30].

وعن أُبَيِّ بنِ كَعبٍ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: كانَ رَسولُ اللهِ - ﷺ - إذا سلَّمَ منَ الوِتْرِ قال: ((سُبحانَ المَلِكِ القدُّوسِ -ثَلاثَ مرَّاتٍ)). وفي روايةٍ: يُطيلُ في آخِرهِنَّ.(131)

وعن عبدِ الرَّحمنِ بنِ أَبْزَى رَضِيَ اللهُ عنه، أنَّ النَّبيَّ - ﷺ -كان يقولُ إذا سلَّم -أي: مِن الوِتْرِ-: ((سُبحانَ المَلِكِ القُدُّوسِ -ثلاثًا، ويَرفَعُ صَوتَه بالثَّالِثةِ)).(132)

وعن عائِشةَ رَضِيَ اللهُ عنها، أنَّ رَسولَ اللهِ - ﷺ -كان يقولُ في رُكوعِه وسُجودِه: ((سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، رَبُّ الملائِكةِ والرُّوحِ)).(133)

السَّلَامُ.

أي: المتَّصِفُ بالسَّلامةِ التَّامَّةِ مِن كُلِّ شَرٍّ وأذًى وسُوءٍ، في ذاتِه وصِفاتِه وأفعالِه.

---

(131) أخرجه أبو داود (1430)، والنسائي (1699)، وأحمد (21180)، وابن حبان (2450).
صَحَّحه ابنُ القطان في ((بيان الوهم والإيهام)) (614/5)، وابنُ حجر في ((نتائج الأفكار)) (21/3)، والألبانيُّ في ((صحيح أبي داود)) (1430)، وصحَّح إسنادَه النوويُّ في ((الأذكار)) (120)، وابنُ باز في ((حاشية بلوغ المرام)) (267).
(132) أخرجه النسائي (1732)، وأحمد (15361) مطوَّلًا.
صحَّح إسنادَه على شرطِ الشَّيخَينِ الحاكمُ في ((المستدرك)) (1009)، وشعيبُ الأرناؤوط في تخريج ((مسند أحمد)) (78/24)، وجوَّد إسنادَه ابنُ الملقِّنِ في ((البدر المنير)) (339/4)، وصحَّح الحديثَ الألبانيُّ في ((صحيح سنن النسائي)) (1732).
وذكر محمد بنُ عبدِ الهادي في ((تنقيح تحقيق التعليق)) (515/1) أنَّه رُويَ بطُرقٍ كثيرةٍ، وقد أرسله بعضُهم.
(133) رواه مسلم (487).

كما قال تعالى: إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا [النساء: 40].

وقال سُبحانَه: إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ [يونس: 44].

وعن ثوبانَ رَضِيَ الله عنه، قال: ((كان رَسولُ اللهِ - ﷺ - إذا انصرَفَ مِن صَلاتِه استَغفَرَ ثلاثًا، وقال: اللَّهمَّ أنت السَّلامُ، ومنك السَّلامُ، تباركْتَ ذا الجَلالِ والإكرامِ)).[134]

الْمُؤْمِنُ.

أي: واهبُ الأمنِ، فلا يأمَنُ إلَّا مَن آمنه اللهُ تعالى، الَّذي يصدقُ رُسُلَه بالآياتِ، والمؤمنينَ ما وعَدَهم به مِن الثَّوابِ، والكافِرين ما أوعَدَهم مِن العِقابِ.

الْمُهَيْمِنُ.

أي: الشَّاهِدُ الحافِظُ الرَّقيبُ على خَلْقِه، القائمُ عليهم بأعمالِهم وأرزاقِهم وآجالِهم، باطِّلاعه وحِفظِه.

الْعَزِيزُ.

أي: المُتَّصِفُ بالعِزَّةِ التَّامَّةِ: الَّذي قد عَظُم قَدرُه، وامتنَع عليه النَّقصُ بأيِّ وجْهٍ مِنَ الوُجُوهِ، وغلَبَ كلَّ شَيءٍ فلا يُغلَبُ سُبحانَه، ولا يُذِلُّه أحَدٌ.

---

(134) رواه مسلم (591).

الْجَبَّارُ.

أي: العَظيمُ القاهِرُ -الَّذي قهَر جميعَ العبادِ-، المُصلِحُ أُمورَ خَلْقِه، والَّذي يُصَرِّفُهم فيما فيه صَلاحُهم.

الْمُتَكَبِّرُ.

أي: المُتعظِّمُ على جَميعِ خَلْقِه، المُتعالي والمترَفِّعُ عن الانقيادِ لِغَيرِه.

قال تعالى: وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ [الجاثية: 37].

وعن أبي سَعيدٍ الخُدْريِّ وأبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنهما، قالا: قال رَسولُ اللهِ - ﷺ -: ((العِزُّ إزاري، والكِبرياءُ رِدائي، فمَنْ نازَعَني بشَيءٍ منهما عذَّبْتُه)).(135)

وعن عَوفِ بنِ مالِكٍ الأشجَعيِّ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((قُمتُ مع رَسولِ اللهِ - ﷺ - لَيلةً، فقام فقَرَأَ سُورةَ البَقَرةِ، لا يَمُرُّ بآيةِ رَحمةٍ إلَّا وَقَف فسأَلَ، ولا يَمُرُّ بآيةِ عَذابٍ إلَّا وَقَف فتعَوَّذَ، ثمَّ ركَعَ بقَدْرِ قيامِه، يقولُ في رُكوعِه: سُبحانَ ذي الجَبَروتِ والمَلَكوتِ، والكِبْرِياءِ والعَظَمةِ، ثمَّ سَجَد بقَدْرِ قيامِه، ثمَّ قال في سُجودِه مِثْلَ ذلك، ثمَّ قام فقَرَأَ بآلِ عِمْرانَ، ثمَّ قرأَ سُورةً سُورةً)).(136)

---

(135) رواه البخاريُّ في ((الأدب المفرد)) (552) واللَّفظُ له، ومسلمٌ (2620).

(136) أخرجه أبو داود (873) واللفظ له، والنسائي (1132)، وأحمد (23980).
صحَّحه النوويُّ في ((المجموع)) (67/4)، والألبانيُّ في ((صحيح سنن أبي داود)) (873)، وحَسَّنه ابنُ حجر في ((نتائج الأفكار)) (74/2)، ووثَّق رجالَ إسنادِه الشوكانيُّ في ((نيل الأوطار)) (375/2)، وقوَّى إسنادَه شعيبٌ الأرناؤوط في تخريج ((سنن أبي داود)) (873).

سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ.

أي: تنزَّهَ اللهُ عن كلِّ نَقصٍ وعَيبٍ وسُوءٍ، وعن أن يكونَ له شَريكٌ كما يَزعُمُ المُشرِكونَ.

هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (24).

هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ.

أي: هو اللهُ المعبودُ بحَقٍّ، الَّذي تفرَّدَ بتقديرِ وإنشاءِ جَميعِ المخلوقاتِ على غَيرِ مِثالٍ سَبَقَ.

كما قال تعالى: ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ [الأنعام: 102].

وقال سُبحانَه: خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ * هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ [لقمان: 10، 11].

وقال عزَّ وجَلَّ: هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ [فاطر: 3].

الْبَارِئُ.

أي: الَّذي أحيا وأوجَدَ مِنَ العَدَمِ على مُقتضى ما خلَقَ وقَدَّرَ.

كما قال تعالى: مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا [الحديد: 22].

الْمُصَوِّرُ.

أي: الَّذي يُصَوِّرُ ويُشَكِّلُ كُلَّ مَخلوقٍ على الصِّفةِ واللَّونِ والصُّورةِ الَّتي يَختارُها سُبحانَه.

كما قال تعالى: هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ [آل عمران: 6].

وقال سُبحانَه: فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ [الانفطار: 8].

لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى.

أي: لله وَحْدَه الأسماءُ الكثيرةُ الكامِلةُ في حُسْنِها، والدَّالَّةُ على صِفاتِ كَمالِه سُبحانَه.

كما قال تعالى: وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا [الأعراف: 180].

وقال سُبحانَه: قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى [الإسراء: 110].

وعن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، أنَّ رَسولَ اللهِ – ﷺ – قال: ((إنَّ لله تِسعةً وتِسعينَ اسمًا؛ مِئةً إلَّا واحِدًا، مَن أحصاها دَخَل الجَنَّةَ)).[137]

---

(137) رواه البخاري (2736)، ومسلم (2677).

يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.

أي: يُنَزِّهُ اللهَ وَحْدَه عن النَّقائِصِ والعُيوبِ جَميعُ ما في السَّمَواتِ والأرضِ.

كما قال تعالى: تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ [الإسراء: 44].

وقال سُبحانَه: أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ [النور: 41].

وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.

أي: واللهُ هو العزيزُ الغالِبُ الَّذي لا يُغلَبُ، وهو الحَكيمُ في كلِّ ما خَلَقَه وشَرَعَه وقدَّرَه؛ فيَضَعُ كُلَّ شَيءٍ في مَوضِعِه الصَّحيحِ اللَّائِقِ به.

تمَّ بحمدِ الله تعالى المجلَّدُ السَّابعُ والثَّلاثونَ

ويَليه المجلَّدُ الثَّامنُ والثَّلاثونَ، وأوَّله: تفسير سُورة المُمْتحنةِ

الفهرس

" نُسْخَةٌ إِلِكْتِرُونِيَّةٌ، حُقُوقُهَا مَحْفُوظَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ "

نسخة إلكترونية

المُغني في التَّفسير

المُحَرِّرُ الجامِعُ لِتَفاسِيرِ السَّلَفِ

[تَهْذِيبُ التَّفْسِيرِ المُحَرَّرِ لِلدُّرَرِ السَّنِيَّةِ]

[مُطَرَّزًا بِحَاشِيَةٍ مِنْ تَحْرِيرَاتٍ وَتَرْجِيحَاتٍ وَتَعْلِيقَاتِ عُيُونِ تَفَاسِيرِ المُحَقِّقِينَ فِي التَّفْسِيرِ:

{ابْنِ جَرِيرٍ، وَابْنِ عَطِيَّةَ، وَابْنِ تَيْمِيَّةَ، وَابْنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ، وَابْنِ كَثِيرٍ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى}

كَتَبَهُ وَاعْتَنَى بِهِ

د/ هَانِي بْن عَبْده

د/ آلَاء رِضَا